اقزام افريقية

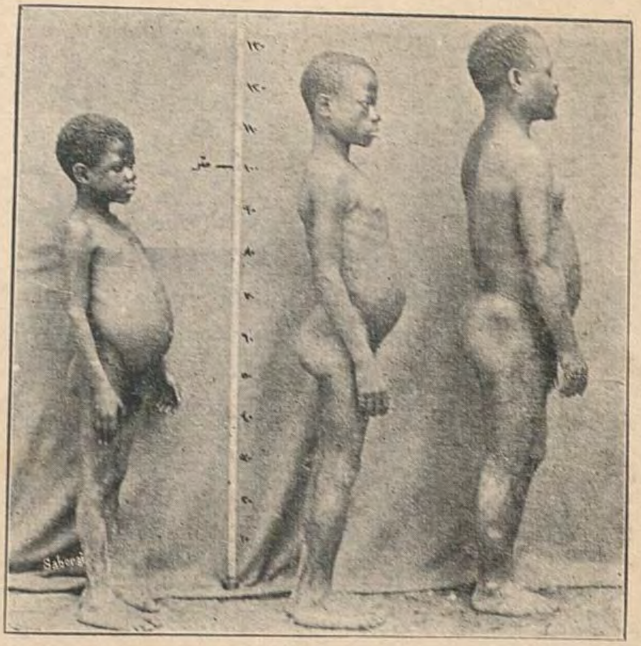
متر
Sabonji

ولد عمره ١١ سنة   شاب عمره ١٧ سنة . رجل عمره ٣٥ سنة

انظر الشرح عنهم في الصفحة ٥٠٥ من هذا الجزء

الاقزام الاربعة وهم جلوس

Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
A2014/8 1905/12

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٨ ربيع آخر سنة ١٣٢٣

اقزام افريقية

خطبة الدكتور اليوت سمث في مدرسة القصر العيني الطبية في ٢٥ مايو سنة ١٩٠٥

ان مرور الكولونل هريسن بستة من الاقزام الذين اتى بهم من ولاية الكنجو ارى كثيرين منا لاول مرة اناسًا من شعب قرأْنا عنهُ في القصص وفي ما كان يحسب اخبارًا موضوعة من عهد المصريين الاقدمين. ولقد اهتمَّ كثيرون بامر هؤُلاء الاقزام حتى خطر لي ان اتلو على مسامعكم بعض ما وقفت عليهِ من امرهم بعد البحث في كتب الذين ذكروهم و بعد ما رأَيتهُ بنفسي فيهم

هؤُلاء الاقزام ستة اربعة رجال وامرأَتان والبالغون منهم ثلاثة فقط رجلان وامرأَة اي انهم بلغوا السن الذي تبلغ فيهِ العظام اشدها ولا تعود تطول. ومتوسط طولهم كلهم اقل من متوسط طول الاقزام عادةً على ما عُرف حتى الآن ولعلَّ سبب ذلك عدم بلوغ الفريق الاكبر منهم. ويعرف العمر من الاسنان ومن تعظُّم العظام والدليل الاخير اي تعظُّم العظام اصحُّ من الدليل الاول وقد صار الاستدلال بهِ ممكنًا الآن بعد اكتشاف تصوير العظام باشعة رنتجن. وتمكنت بفضل الدكتور ملتن من تصوير عظام ايادي هؤُلاء الاقزام واذرعهم صورها لي الدكتور خياط في مستشفى فكتوريا. ويظهر من هذه الصور ان النمو لم يتم تمامًا الَّا في اثنين فقط واصغر الباقين ولد لا يزيد عمرهُ على اثنتي عشرة سنة او احدى عشرة سنة قياسًا على اولاد الاوربيين وطولهُ ١٫١٥٨ متر وثقلهُ ٤٩ رطلاً فقط ويليهِ شاب عمرهُ نحو سبع عشرة سنة وقد يكون اقل من ذلك سنة او سنتين ثم شاب آخر ليس اكبر منهُ كثيرًا ولا يزيد عمرهُ على ثماني عشرة سنة واحدى المرأَتين فتاة يُرجح لي ان عمرها اقل من عشرين سنة. ثم ان هذا التقدير مبني على القياس المعروف في اوربا بالنسبة الى عمر الاوربيين فاذا حسبناهُ بالنسبة الى عمر الاقزام وجب ان يكون عمرهم اقل من ذلك وعليهِ فلا غرابة اذا كان متوسط

طولهم وهو ١٫٣٠٥ متر اقل من متوسط طول الاقزام الذين قاسهم السر هري جنستن في ببيتي وهو ١٫٤٥٢ متر

لكن الرجل البالغ والمرأة البالغة من هؤلاء الاقزام الستة اقصر من اقصر الرجال والنساء الذين قاسهم السر هري جنستن فان طول هذا الرجل ١٫٣٦٧ متر وطول المرأة ١٫٢٨٦ متر فهما قصيران جدًّا حتى بالنسبة الى الاقزام . ويؤيد ذلك ان احد رفاق الرجل اطول منهُ وهو لم يبلغ اشدهُ والمرأة الفتيَّة التي لم تبلغ عظامها حدها من النمو اطول من المرأة البالغة فان طولها ١٫٣٣٤ متر . غير ان السر وليم فلوَر قاس بعض الاقزام فوجد انهم اقصر من هؤلاء . ثم ان من يختار نفرًا من الاقزام ليأتي بهم الى اوربا لا يختار اطولهم بل اقصرهم كما لا يخفى . وقد ذكرت هذه الامور لكي نعلم كيف نبني حكمنا على شعب برمتهِ من النظر الى اشخاص قلائل اختاروا او اختيروا ليتغربوا عن اوطانهم

ولقد ظن البعض ان هذه اول مرة زار فيها الاقزام مصر او اوربا ولكن هذا الظن خطأ لان بعض ابناء جنسهم تقدموهم منذ عهد غير بعيد والمرجح ان كثيرين منهم وصلوا الى هذه البلدان في الازمان السالفة

فقد اكتشف الاستاذ شوينفرث اقزام اكَّا في بلاد منبتُّو سنة ١٨٧٠ واخذ من ملكهم موزى ولدًا بدل كلب لكن هذا الولد مات في بربر وهو آتٍ بهِ الى مصر من اكلة معكروني افرط فيها على ما اخبرني الاستاذ شوينفرث . ومما يجب ذكرهُ هنا ان الاستاذ شوينفرث لم يكن اول اوربي اكتشف اولئك الاقزام بل كشفهم اوربي آخر قبلهُ بقرنين فاعاد هو اكتشافهم

واول من ارسل الاقزام الى اوربا في ما اعلم هو مياني السائح الايطالي ولو قيل ان كثيرين اتوا بالاقزام قبلهُ فانهُ اقتفى خطوات شوينفرث الى بلاد منبتُّو سنة ١٨٧٣ واتى منها بولدين لكي يجلبهما الى اوربا لكنهُ مات في اثناء الطريق وترك ما معهُ للجمعية الجغرافية الايطالية وفي جملتها القزمان فاتي بهما الى اوربا ولقيا فيها من المعاملة ما لقيهُ وسيلقاهُ هؤلاء الاقزام فقد كتب السر وليم فلوَر "انهُ لم يهتم العلماء بامر اثنين من الشعوب المتوحشة قدر ما اهتموا بهما فقاسوهما وصوَّروهما في القاهرة اولاً ثم في اوربا وكتبوا عنهما ما يملأ مكتبة وكان بين العلماء الكاتبين السر رتشرد أوِن في انكلترا وكورناليا ومنتغزا وجغليوني وزانتي في ايطاليا وبروكا وهامي وده كاترفاج في فرنسا" وقُدما الى الملك والملكة في ايطاليا وأُدخلا الى بيوت اعظم العظماء ثم جُعلا بين الغلمان في بيت الكونت منسكلشي في ڤرونا بعد ان عُلِّما . ومات احدهما بالسل في ڤرونا سنة ١٨٨٣ ودفن هناك ولم تفحص رمتهُ فحصًا علميًّا ولا اعلم ماذا جرى لاخيه

واتى روملوجسي من رجال غوردون باشا بابنة من اقزام آكَّا الى اوربا وكانت لا تزال في خدمة مدام جسي حتى سنة ١٨٨٨ وهذا آخر ما امكنني ان اعرفهُ عنها

ولا يخفى ان بعض الاقزام يسكنون الآن على مقربة من منابع النيل. ومن رأْي اكثر علماء الانثروبولوجيا الذين بحثوا في هذا الموضوع بالتدقيق ان الاقزام كانوا اكثر انتشارًا في الازمنة الغابرة منهم الآن ولذلك يُرجَّح ان سكان وادي النيل القدماء سمعوا عن الاقزام او رأوهم في سفرهم الى الجهات الجنوبية. ولكن اذا ثبت ذلك ثبوتًا ينفي كل ريب لا يلزم عنهُ ان يكون كل ما ذُكر في تاريخ مصر عن القصار القامة يراد بهِ جنس الاقزام هذا لانهُ يولد اناس قصار القامة بين كل الشعوب وهم من النوادر ولذلك يعتني بهم اعتناء خاصًّا ويؤْتى بهم الى قصور الملوك والعظماء. فقد يعرض للولد احيانًا ما يعوق نمو جسمهِ كلهِ او بعضهِ في اوائل عمرهِ فيبلغ اشدهُ بحترًا صغير الجسم او مشوَّه الخلقة بعض جسمهِ كبير وبعضهُ صغير. والاقزام الذين من هذا النوع هم المصوَّرون في الصور والتماثيل المصرية القديمة كالقزم خنمهتبو في دار التحف المصرية. ولقد اخبرني الاستاذ مسبرو انهُ يظهر لهُ من البحث المدقق في كل الكتابات المصرية التي قيل انها تشير الى الاقزام ان ليس منها ما يشير الى جنس الاقزام هذا بل هي تشير الى المسوخ الذين قَزَمُهم توقُّف في النمو او تشوُّهٌ في الخلقة

ولعلَّ اقدم اشارة الى الاقزام وردت في رسالة للاستاذ شيابارلي وصف بها قبرًا من قبور المصريين سنة ١٨٩٣ ومفاد ذلك "ان الى الجنوب من القطر المصري بلاد فنط وكان المصريون الاقدمون يعتقدون ان كل ما وراءها بلاد لا تعرف الَّا من القصص الخيالية وهي متوسطة بين العالم الذي يسكنهُ الناس والعالم الذي تسكنهُ الالهة او النفوس والاخيلة وهذه البلاد يسكنها الدنجا وهم اقزام متوحشون في وجوههم من الغرابة وفي حركاتهم من مخالفة المألوف ما ذكَّر المصريين بالاله بس". وكان يؤْتى ببعضهم الى بلاد فنط او الى الاماميو (قرب وادي حلفا) إما اسرى حرب او بضاعة تجارة وكان جالبهم يغتني من جلبهم لان الفراعنة كانوا يغالون بالدنجا ويودون ان يكون عندهم منهم مهما بلغ ثمنهم لانهُ ليس امهر منهم في رقص الآلهة الرقص الذي كان الاله بس يرقصهُ في اويقات سرورهِ (١) فان رجلاً اسمهُ بيورديدي اتى الملك اسي من ملوك الدولة الخامسة بقزم من هؤُلاء الاقزام اشتراهُ من بلاد فنط ولا يُعلم هل كان اول قزم دخل بلاط الفراعنة او تقدمهُ كثيرون قبلهُ. وقد ابدى

---

(١) ليقابلْ ذلك بما ذكرهُ السر هري جنستن عن بلاد اوغندا حيث وصف رقص اقزام البمبوت بما يشابه رقص الكهنة الذين يرقصون للاله بس

من الخفة والمهارة في الحركات والاشارات ما اذهل الناظرين وبقي ذكرهُ في البلاد الى نحو مئة سنة بعد ذلك ". هذا ما قالهُ مسبرو في كتابهِ فجر العمران نقلاً عن شيابارلي وقال الاستاذ كين نقلاً عن شيابارلي ان رجلاً اسمهُ هروخُف ارسلهُ الملك بيي من الدولة السادسة بعد ايام الملك اسي بنحو سبعين سنة لكي يأْتيهُ بقزم من الاقزام حيًّا من بلاد الاشجار الكبيرة في اقصى الجنوب . ويعلم من كتابة احدث من ذلك وجدت في الكرنك ان الدنجا كانوا يردون من الجنوب ومعنى هذا الكلمة الاقزام كما يظهر من التفصيل التالي لا الرجال البحاتر المشوهون الذين قصرت قامتهم لتوقُّف نموهم (انظر كتاب ماضي الانسان وحاضرهُ ومستقبلهُ صفحة ١١٨)

قال الاستاذ مسبرو ان الكلمة المصرية تعني الرُّجَيْل اي الرجل المشوه الخلقة الذي تبقى قامتهُ قصيرة لتوقف نموهِ . ولكن الرجال المشوهين لايكونون شعبًا ولا يعتنى بامرهم حتى يبقى ذكر الواحد منهم محفوظًا في البلاد نحو مئة سنة . والمشوهون يوجدون في كل بلاد وبين كل الشعوب ولم يخلُ منهم القطر المصري ومن المحتمل ان الكلمة المصرية التي يراد بها الرجيل المشوَّه أُطلقت على الاقزام لقصر قامتهم والاَّ فلا تفسر الاشارة الى شعب من الاقزام . ولكن الاستاذ مسبرو ذكر اعتراضًا آخر وهو ان الزمن الذي كان يقضيهِ المصريون القدماءُ في الذهاب الى بلاد هؤلاء الاقزام لايكفي للوصول الى البلاد التي هم فيها الآن ولا يكفي الاَّ للوصول الى سواكن او ما يجاورها . فان كان الامر كذلك فبلاد الاقزام كانت تمتد شمالاً الى ابعد مما تمتد الآن والاَّ فلا معنى للخبر الذي قرأهُ شيابارلي

وذكر هيرودوتس المؤرخ بلاد الاقزام في خبر اوردهُ مفصلاً وقال انها على ضفتي نهر يجري من الغرب الى الشرق . وقد اخبرني المستر كريج رئيس جمعيتنا ان وصف هيرودوتس لا يصدق الاَّ على نهر السُّبَت (١) فاذا كانت بلاد الاقزام ايام هيرودوتس ممتدة الى نهر السبت فلا يبعد ان تكون في عهد الدولة الخامسة من الدول المصرية ممتدة الى اكثر من ذلك شمالاً حتى تصل اليها الحملة التي اشرت اليها سابقًا

ولم تنجلِ المسألة حتى الآن انجلاءً تامًّا ولكن الادلة تدل كلها على ان الاقزام الحقيقيين وصلوا الى مصر في اول فجر التاريخ

وفي هيكل الملكة هتسو (حتشبست) في الدير البحري صورة تمثل هذه الحملة الى بلاد

---

(١) [المقتطف] لعلَّ مرادهُ نهر النيل قبلما يصب فيهِ نهر السبت وهو المعروف ببحر العرب اما السبت نفسهُ فيجري من الشرق الى الغرب كما لا يخفى

اقزام افريقية

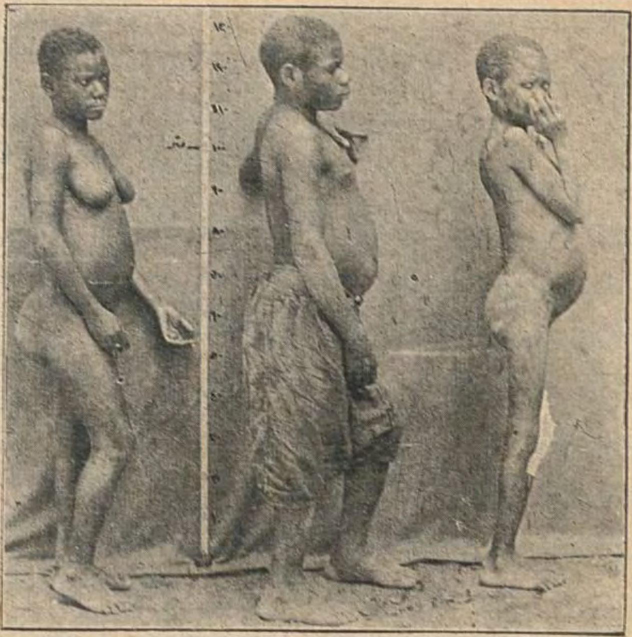

المرأة الكبرى   شاب عمرهُ ١٨ سنة   فتاة عمرها ٢٠ سنة

انظر شرح ذلك في الصفحة ٥٠٦ من هذا الجزء

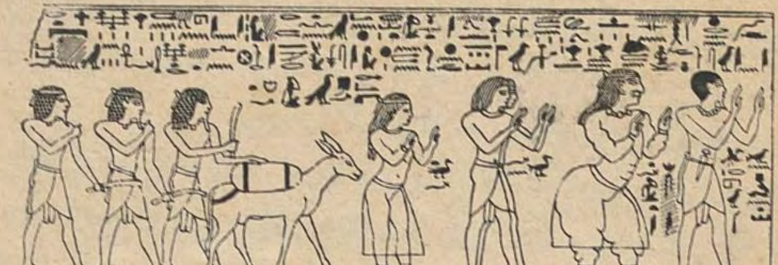

ملك فنط وزوجتهُ وابناهُ وابنتهُ وحمار محمل وثلاثة من الخدم

انظر الكلام على زوجتهِ وابنتهِ في الصفحة ٥٠٩ من هذا الجزء

الجنوب وفيها صورة ملكة فنط وهي قصيرة القامة عجزاء ربلاء رجراجة وقد بالغ النقاش في تصوير ضخامتها ولكن بقي في صورتها ما يدل على انها ليست من البحاتر المشوهي الخلقة وعلى ان الاقزام الضخام العجز بلغوا بلاد مصر في تلك العصور السحيقة من الجهات الجنوبية

ومن رأي الاستاذ كولمن ان اقزام افريقية بلغوا سواحل بحر الروم في العصور الخالية وقطعوا الى اوربا ايضاً ولا تزال عظامهم في المدافن الباقية من العصر الظرري الحديث في سويسرا وجنوبي اوربا . ولكنني كثيرًا ما وجدت في مدافن المصريين من كل العصور عظام اناس قصار القامة وهم من المصريين انفسهم كما تدل بقية الدلائل التشريحية وكثيرون منهم ليسوا اكبر جسماً من الاقزام الحقيقيين . واناس مثل هؤلاء يوجدون بين كل الشعوب ووجودهم لا يدل على وجود الاقزام الحقيقيين في العصورة الغابرة لا في اوربا ولا في مصر لان اوصافهم الطبيعية لاتنطبق على اوصاف اقزام افريقية

ولقد قرأ كل احد عن الاقزام الذين ذكرهم هوميروس وارسطوطاليس وهيرودوتس وكتسياس وابلينيوس وبمبونيوس ملو وغيرهم من الكتَّاب اليونان والرومان . فان كنا في ريب من ان الكتَّاب المصريين الاقدمين كانوا يعرفون الاقزام الحقيقيين فلا محل للريب في ما قالهُ اولئك الكتاب الاوربيون واذا كانت القصة التي رواها هوميروس عن البجع والاقزام خرافةً فما اوردهُ اراستثنيس الفيلسوف الذي نشأ في القرن الثالث قبل المسيح لا يحتمل الريب . قالت لادي امهرست في كتابها "ملخص تاريخ مصر" ان البجع يقطع حتى يصل الى البحيرات التي بعد القطر المصري حيث منابع النيل وهناك يسكن الاقزام وليس في ذلك شيء من الخرافة بل هو الحق الصراح

واشار الكتَّاب الاقدمون الى الحرب بين الاقزام والبجع وصوَّر ذلك المصورون على الكؤوس اليونانية . وقد وصف السر وليم فلور صورة من هذه الصور على كاس في مجموعة هوب ترى صور الاقزام فيها قصار القامة كبار الرؤوس وجوههم كوجوه الزنوج وشعرهم مفلفل

وقال ارسطوان الاقزام يسكنون افريقية عند منابع النيل . وقال السر وليم فلور ان الخبر الذي ذكرهُ هيرودوتس في تاريخهِ مفصَّل مدقق ويظهر انهُ صحيح تماماً حتى يستحق ان يذكر برمتهِ (وهنا ذكر الخطيب الخبر الذي نقلناهُ عن هيرودوتس في الجزء الخامس الصادر في غرة مايو الماضي فلا حاجة الى اعادتهِ . واعاد ما قالهُ اولاً وهو ان وصف النهر الذي ذكرهُ هيرودوتس ينطبق على وصف السبت ولا شبهة في انهُ اراد النيل حيث يصب نهر السبت لان نهر السبت يجري من الشرق الى الغرب لا من الغرب الى الشرق ثم قال)

واول من ذكر الاقزام في العصور الحديثة رجل انكليزي اسمهُ اندروبتل اقام قرب خط الاستواء ثماني عشرة سنة من ١٥٨٩ الى سنة ١٦٠٧ وقال في كتابهِ المطبوع سنة ١٦٢٥ ” انهُ الى الشمال الشرقي من ماني كسوك شعب قصير القامة يسمى ماتمبا لا يزيد طول الواحد منهم على طول ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة ولكنهم ضخام على قصرهم ويعيشون على لحم الحيوانات التي يصطادونها من الحراج بالقوس والنشاب“

والَّف دبر كتاباً على بلاد الحبشة السفلى سنة ١٦٨٦ ذكر فيهِ شعباً من الاقزام سماهُ بكَّا بكَّا ولعلهُ شعب الاكَّا الذي اعاد شويفورث اكتشافهُ بعد قرنين

ولم يُلتفت الى تلك الاخبار حينئذٍ ولا في القرن التالي بل عدَّت من خرافات القصاصين وعُدَّ الاقزام المذكورون فيها من انواع القرود المشابهة للانسان ولكن من سنة ١٨٦١ فصاعداً صار السياح الضاربون في قلب افريقية يذكرون ما يتصل بهم من اخبار الاقزام . فذكر الدكتور توشار سنة ١٨٦١ والاميرال فلوريو ده لانجل سنة ١٨٦٨ ما اتصل بهما من ان شعباً من الاقزام آخذ في الانقراض ووصف ده شليو سنة ١٨٦٧ اقزاماً رآهم في بلاد اشنجو بين نهر الجابون ونهر الكنجو . ولكن الذي وجه الانظار اكثر من غيرهِ الى الاقزام هو ستانلي في ما كتبهُ عن سياحتهِ الى قرب منعطف الكنجو حيث سمع عن الاقزام في وطوى . ووصف الدكتور ولف اقزام وطوى فقال انهم اقل سواداً من الزنوج ولا يزيد طول الواحد منهم على ١٫٤٠ متر ومتوسطهُ ١٫٣٠ متر

ثم كتب السر وليم فلور رسالة مسهبة عن عظام قزمين ارسلها امين باشا الى دار التحف البريطانية سنة ١٨٨٧ ووصف السر هري جنستن الاقزام في ما كتبهُ عن بلاد اوغندا

وقد لخَّصت اكثر ما ذكرتهُ في هذه الخلاصة عما كتبهُ الاستاذ شوينفورث والسر وليم فلاوَر وفيهِ اهم الامور التاريخية عن الاقزام ولو اردتُ ان اذكر اسماء كل المقالات التي كُتبت عنهم لما وسعني الوقت المعين لهذه الخطبة

ولا حاجة بي الى وصف البلدان التي يقطنها الاقزام وانما اقول انهم غير محصورين في اواسط افريقية بل توجد شعوب منهم في شبه جزيرة ملقَّا وجزائر فيلبين وجاوى وغينيا الجديدة نسبتهم الى زنوج اسيا نسبة اقزام افريقية الى زنوجها . ويوجد ايضاً شعب من الاقزام في جزائر اندمان متوسط بين اقزام اسيا واقزام افريقية . وفدَّا سيلان واقزام الهند من فريق واحد وليس فيهم المميزات التي تجعل سائر الاقزام من فريق آخر

وفي افريقية شعبان او ثلاثة من الاقزام الاول البشمن في الجنوب الغربي من افريقية

والثاني الهوتنتوت وهم مزيج من البشمن والزنوج الذين يتكلمون لغة البنتو . والثالث الاقزام الذين في افريقية الاستوائية وبلادهم تمتد من اوغندا الى الاوقيانيوس الاتلنتيكي في منطقة عرضها ثلاث درجات عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً وفيها الاقزام الذين منهم هؤلاء الستة ولعلهم اصغر الشعوب قدًّا

ولا حاجة بي الى التطويل في وصف هيآتهم لان صورهم الفوتوغرافية والمظهرة امامكم بالفانوس السحري تغني عن ذلك وانما اوجه التفاتكم الى بروز الفكين وشدّة فطس الانف حتى صارت ارنبتاهُ مثلهُ حجماً في بعضهم وارتفاع الجبهة وبروزها وفلفلة الشعر وتفرقهُ حزماً حزماً. وهذه الاوصاف كلها موجودة في الزنوج ولكنها موجودة على اشدها في الاقزام فهم متطرفون في الزنجية وسوادهم ضارب الى السمرة فلونهم بنيٌّ على نوعٍ ما ولذلك فهم اقل سواداً من كثيرين من الزنوج. ولكن يظهر من هؤلاء الستة ان لونهم يختلف. وارى ان الكتّاب بالغوا في الفرق بين لون الاقزام ولون سائر الزنوج لان لون كثيرين من الزنوج مثل لون هؤلاء الاقزام ولو كان دم الزنوج غير ممتزج بدم الحاميين او الساميين . ولولا قصر قامة الاقزام لعدوا من الزنوج . وقد تسرّع البعض في تشبيه البشمن الصفر الالوان بالاقزام . نعم ان الشعبين يتشابهان في امور كثيرة وبينهما وبين الزنوج قرابة وفيهما كليهما القامة قصيرة والانف افطس والجبهة بارزة والشعر مفلفل . ويتشابهان ايضاً بنيةً ولكنهما يختلفان على ما قالهُ بعض الكتَّاب في ان نساء الهوتنتوت كبار الكفل وليس كذلك نساء الاقزام . وقد اختلف الكتَّاب في هذا الموضوع فقال اكثرهم ان نساء الاقزام لا يكنَّ كبار الكفل وقال غيرهم انهنَّ قد يكنَّ كبارهُ . والفتاة من هاتين المرأتين كبيرة الكفل نوعاً كما ترون في الصورة . وبين البشمن والاقزام اختلاف واضح في اللون ولكن لون الاقزام ليس على درجة واحدة كما يظهر مما قالهُ السياح المختلفون . واذا صدَّقنا ما قالهُ ده شليه عن لون اقزام اشيرا انهُ اسمر فاتح فلون الاقزام متدرّج من الاسمر الغامق وهو لون اكثر الاقزام الى الاصفر وهو لون البشمن . واذا تركنا اللون والقد والتفتنا الى شكل العينين والانف وجدنا فرقاً بيّناً بين البشمن والاقزام . ولا يسعني الوقت للاسهاب في هذا الموضوع الصعب ولكن يظهر ممَّا لدينا من الحقائق ان البشمن والاقزام كليهما بقية شعب من الزنوج كان يقطن الجانب الاكبر من افريقية ثم طردهم الزنوج الكبار القامة فالتجأ البشمن منهم الى قفار الجنوب الغربي من افريقية والاقزام الى حراج الانحاء الاستوائية ويرجَّح ان العنصر الزنجي تقوَّى في الاقزام بامتزاجهم بالقبائل التي حولهم فان واحداً من هؤلاء الرجال الاربعة وهو اكبرهم قدًّا اشبههم بالزنوج

واحدي المرأتين يختلف وجهها عن وجوه البقية و يشبه وجوه الاحباش حيث يكثر العنصر الحامي . ولذلك يرجَّح ان هؤلاء الاقزام ليسوا من جنس صريح النسب بل من جنس امتزج بغيره من الشعوب المحيطة بهِ

والرأي الشائع ان الاقزام اشبه بالقرود من اكثر الناس ولكن الادلة التي تؤيد ذلك قليلة جدًّا. فان شفاههم تشبه شفاه القرود المشابهة للبشر ولا سيما حينما يشربون لان شفاههم تبرز حينئذٍ كما تبرز شفتا الشمبانزي وهو يشرب. وهي ليست ضخمة مقلوبة كشفاه الزنوج بل طويلة رقيقة وآذان الاقزام صغيرة في الغالب وتشبه آذان الاوربيين شكلاً وشحمتها صغيرة في هؤلاء الاقزام الستة ولا وجود لها في آذان القرود

وقد كتب كثيرون ان اجسام الاقزام مغطاة بالشعر ولكن ابدان هؤلاء الاقزام الستة ليس عليها من الشعر اكثر مما يكون على ابدان الاوربيين عادة ولا يستثني من ذلك الاَّ الولد فلعلَّ الشعر الذي على بدنهِ اكثر مما على ابدان الاوربيين عادة

وابهام اقدامهم ليس مفصولاً عن سائر الاصابع اكثر مما هو مفصول في الزنوج ولا هم اقدر على الامساك باصابع اقدامهم اكثر من الفلاحين او غيرهم من الذين يمشون حفاةً . ورؤُوسهم اقصر من رؤُوس الزنوج وصغيرة بالنسبة الى ابدانهم

ولم ينشر حتى الآن شيءٌ عن تشريح ابدان الاقزام ولكن حدث منذ سنتين ان أُتي الى دار التشريح في مدرسة الطب هنا بجثتي زنجيتين صغيرتي القد جدًّا طول احداها ٤٣٦,١ متر والاخرى اقصر منها ببضع مليمترات ولا يعلم اين وطنهما الاصلي وليس في جسميهما شيءٌ من التشويه الذي يكون عادة في اجسام السودانيات وحجم اعضائهما وعظامهما وشكل رأْسيهما ووجهيهما كل ذلك شبيه بما في الاقزام وفي بناء جسميهما ادلة كثيرة على انهما من جنس منحط مما يقل وجودهُ في اجسام الناس عادةً فدماغاهما صغيران جدًّا الكبرى منهما وعمرها نحو ٤٠ سنة وزن دماغها ٨٥٠ جرامًا والصغرى وعمرها ٢٢ سنة بلغ وزن دماغها ٩٢٠ جرامًا ومتوسط دماغ المرأة المصرية ١١٨٠ جرامًا ومتوسط دماغ المرأة الاوربية نحو ١٢٨٠ جرامًا على ما اظن. ودماغ الغورلاَّ قد يزيد على ٥٠٠ جرام ودماغ الرجل المزعوم وجودهُ بين الانسان والحيوان يبلغ ثقلهُ ثقل دماغ الكبرى من هاتين المرأتين . ولا شبهة ان لثقل الدماغ شأْنًا كبيرًا ولكن لا يخفى انهُ اذا صغر الجسم صغر الدماغ معهُ ايضًا واذا استثنينا الثقل فلا شيءَ في دماغيهما يقربهما من ادمغة القرود

وخلاصة القول ان زنوج افريقية شعب متطرف في الزنجية ولكنهُ ليس اشبه من الزنوج بالقرود

طول العمر

هل يعمَّر الناس في هذا العصر اكثر مما كانوا يعمرون في العصور الغابرة . هذه مسألة يتعذر بت الحكم فيها وانما نعلم ان متوسط عمر الانسان زاد بزيادة اسباب العمران ولا يزال آخذًا في الزيادة الى الآن

وقد ظهر بالاستقراء ان الحد الطبيعي لعمر الحيوان يساوي خمسة اضعاف المدة اللازمة لتمام نمو هيكلهِ او تعظيمهِ وهي في الانسان ٢١ سنة وعليهِ فان الحد الطبيعي لعمر الانسان ١٠٥ سنين فكل انسان يمكنهُ ان يعيش مئة سنة لو عرف كيف يعيش. قال الاستاذ متشنيكوف ان الانسان يجب ان يعيش ١٢٠ سنة . وحسب السر رتشرد اون حد عمر الانسان ١٠٣ سنين وعدة اشهر ولذلك فقد صدق من قال ان كل الذين يموتون دون الثمانين وكثيرين من الذين يموتون دون التسعين وبعض الذين يموتون دون المئة والمئة والخامسة انما يموتون قبل اوانهم حتى ان احد الكتاب الفرنسويين قال " ان الناس لا يموتون حتف انوفهم بل ينتحرون "

ولقد كانت مسألة اطالة العمر شغل الانسان الشاغل فسعى سعيًا متواصلاً ودأب ليل نهار في الاهتداء الى اكسير الحياة — شرابٍ اذا بلَّ بهِ ريقهُ عاش مخلدًا فكان تفتيشهُ عنهُ اعقم من تفتيشهِ عن حجر الفلاسفة وهو ذلك الحجر الموهوم الذي اذا مُسَّ التراب بهِ تحول تبرًا او الحديد والرصاص غادرهما سبائك ذهب براقة . فقد ذُكر ان بونس دي ليون قضى عمرهُ يفتش عن " ينبوع الشبيبة " فوجد حتفهُ قبل ان يجدهُ . وان روجر باكون استحضر اكسيرًا مركبًا من الذهب والمرجان ولحم الافاعي والصبر وحصى اللبني وغيرها من المواد والعقاقير المختلفة الانواع اذا شربهُ الانسان عاش مدى الزمان. وقد قال بعضهم في وصف هذا المركب الغريب انهُ اذا شربهُ الانسان فأولى بهِ ان يوردهُ الموت الزؤام لا ان يطيل عمرهُ الى آخر الايام

وكان اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي المشهور يعتقد فائدة الافيون وملح البارود . وقال اشمول الانكليزي مؤسس المتحف الاشمولي في اكسفورد " انني كنت اشرب جرعة من الاكسير واعلق ثلاث عناكب حول عنقي " فعل ذلك لاطالة عمرهِ فلم يزد عمرهُ على ٧٥ سنة ولكنهُ كان يعتقد ان الوصفة المذكورة كانت تخفف اوصابهُ وتزيل آلامهُ . وعاش كونت مونتلوزيه عمرًا طويلاً وكان يسكن قصرًا جعل جناحيهِ زريبتين للبقر تسع الواحدة ٣٠

بقرة فكان نفس هذه البهائم يملأُ القصر على سعتهِ وفخامتهِ "ويطيبهُ برائحتهِ العطرية ويحسن صحة ساكنيهِ" على ما كان الكونت يقول

ومن الاوهام القديمة ان مساكنة الصغار سنًّا تفعل بالكبار فعل السحر ولا سيما اذا استنشق الكبار على الدوام نَفَس الصغار فان ذلك ينعش قواهم ويبعث النشاط في عزائمهم الخائرة واعظم منهُ عائدة ادخال دم الصغار الى عروق الشيوخ

ويحكى ان القديس انطونيوس بلغ المئة والخامسة من العمر وكان يسكن كهفًا في الجبال ويقتات بالخبز المبلول بالماء ولم يبدل لباسهُ ليلاً ولا نهارًا ولم يغتسل الَّا مكرهًا ولم يتزوج · ويحكى عن رجل فرنسوي اسمهُ شفرول انهُ عاش اكثر من قرن في باريس فتمرس باسمى ضروب الحضارة والرفاه فيها وكان شديد التأنق في مأكلهِ يتألف طعامهُ صباحًا من بيضتين وقطعة من لحم الدجاج ورطل من اللبن والقهوة · وغداؤهُ من شوربة التبيوكا والجبن والكستلانه والعنب . وكان يشرب على الغداء ثلاث زجاجات ماء ولم يأكل قط سمكًا ولا شرب خمرًا . الَّا ان رجلاً انكليزيًّا عاش ١١٦ سنة وكان شديد الولع بالعرق يكثر شربهُ ولم يشرب الماء

والذي ينظر في اوصاف المعمرين وعاداتهم المختلفة التي لا ضابط لها يحار في ذلك ولا يهتدي الى حقيقة . فمنهم من قضى السنين الطوال يشرب اللبن دون غيرهِ · ومنهم من افرط في شرب المشروبات الكحولية · وعاشت امرأة ١١٦ سنة وكان معظم طعامها الزبدة والخضر · واخرى عاشت ١١٠ سنين قضت ٣٠ سنة منها لا تكاد تأكل فيها سوى البطاطس وبلغ رجل سنَّ المئة والخمسين وكان مولعًا بأكل بيض الدجاج الجديد

هذا من حيث الطعام واما من حيث الزواج وعلاقتهُ بطول العمر فقد ثبت ان معظم المعمرين كانوا متزوجين · وكثيرين منهم تزوجوا مرارًا ومنهم من تزوج بعد المئة مرتين وثلاثًا

وغالب المعمرين قصار القامة وممَّن شذَّ عن هذه القاعدة السر موسى مونتفيوري فانهُ جاز المئة وكان طولهُ ست اقدام وثلاث عقد

ومهما يكن من التناقض في اوصاف المعمرين وعاداتهم فالثابت ان الاعتدال في الاكل والشرب والاقلال من المشروبات الكحولية ما امكن خير قاعدة يعوَّل عليها في هذا الباب · قال تشارلس دكنس مؤلف الروايات الشهير عند الانكليز "ان الزمان لا ينتظر احدًا ولا يتئد لمخلوق في مسيرهِ الَّا الذين أحسنوا مقابلتهُ ومعاملتهُ" . ومن راي الاستاذ متشنيكوف ان شرب اللبن المختمر (الرائب) يوميًّا خير الوسائل لاطالة العمر · ورايهُ هذا

مبنيٌّ على المذهب القائل بوجود مكروبات نافعة لا ضارّةٍ فقط فاذا عُزّزت المكروبات النافعة التي في الدم صدّت جيوش المكروبات الضارّة التي تشنُّ الغارات على الجسم وتفتك بهِ

ومثل وصفة متشنيكوف وصفة الدكتور برون سيكارد الذي عاش ٧٦ سنة وجرّب في نفسهِ تجارب كثيرة بعد ان كان خائر القوى واهي الجسم وكان يعتقد انهُ يمكن اطالة العمر بحقن الجسم من مركّب مخصوص ولكن العلم لا يعوّل على رأيهِ

على ان احكم الحكماء الذين غالبوا الموت فغلبوهُ بعض الغلبة لويجي كورنارو الايطالي وقاعدتهُ هي ان كلّ انسان يجب ان يكون طبيب نفسهِ وقد جرى كثيرون على هذه القاعدة فنجحوا منهم رجل من كبار الاميركيين عمّر وشهد بفضلها فقال "لقد استفدت من وصفة كورنارو كثيرًا واني مقتنع ان كل من يجري عليها يعيش طويلاً ويقضي العمر سعيدًا. نعم ان الكتب ملأى بما اكتشفهُ رجال العلم من الاكتشافات المختلفة لاطالة العمر وهناء المعيشة ولكن السرّ الذي باح لنا كورنارو بهِ ابسط الاسرار واسهلها"

ومما يزيد قاعدة كورنارو قيمة انهُ عمل بما علَّم بهِ فعاش ١٠٣ سنين وكان قد قضى ايام الشباب باللهو والقصف والخلاعة والافراط في الأكل والشرب حتى اذا بلغ الخامسة والثلاثين بات جلدًا منشورًا على عظام بينهُ وبين الموت خطوة ولكنهُ جمع جيش عزيمتهِ وجعل يداوي نفسهُ بنفسهِ ففاز وكان فوزهُ مبينًا بدليل انهُ كتب آخر مقالة عن حسن المعيشة وهو ابن خمس وتسعين سنة

واهمُّ ما شدّد الوصية بهِ الاعتدال فقد وجد بعد تجارب كثيرة انهُ يكفيهِ كلَّ يوم اكل ١٢ اوقية من الطعام الجامد وشرب ١٤ اوقية من السائل فلم يكن يأكل درهمًا واحدًا يزيد عليها ووضع القاعدة الآتية بهذا الصدد وهي "من اراد ان يأكل كثيرًا فليأكل قليلاً"

ولم يقصر وصيتهُ على الاكل بل اوصى بالمحافظة على المبادىء الصحية الاخرى فقال "اني اجتنبت الامور المضرة كالبرد والحرّ الشديدين والتعب الكثير والسهر الطويل والهواء الفاسد. فانهُ وان تكن قوة الصحة تتوقف في الاكثر على نسبة الطعام والشراب الا ان الامور المذكورة تؤثر تأثيرها. وكنت أنبذ الحقد والسوداء وغيرهما من العواطف النفسانية التي تقلق العقل وتتسلط على الجسم. ولكني لم استطع تجنبها على الدوام بل كانت تنتابني من آن الى آن فأفادتني وتعلمت منها الحكمة الآتية وهي ان العواطف النفسانية قلما تؤثر في الجسم الذي انتظمت وظائفهُ بالطعام المعتدل. وعليهِ اقول ان الذين يتناولون كميات متناسبة من الطعام والشراب قلما يضرُّهم الافراط في الملذات الاخرى"

هذا وان قواعد العلم الحديث كلّها تؤيد ما قالهُ كورنارو من وجوب الاعتدال ونبذ الهموم والغموم . فان الذي يروم ان يعيش مئة عام يجب ان لا يبالغ في الاهتمام بمستقبلهِ وبمشاغل هذه الحياة وشؤونها لان الافراط في الاهتمام مثل التفريط فيه — كلاهما قاتلٌ لصاحبهِ وخير الامور الوسط

ومن اشهر اتباع كورنارو هوراس فلتشر الاميركي فانهُ قام ينادي بوجوب انبساط النفس وانشراح الصدر لاطالة الحياة . وكان لم يبلغ الخامسة والاربعين من عمرهِ حتى وجد نفسهُ مصابا بثلاثة ادواء عضالة ولم تقبل شركة من شركات التأمين على الحياة ان تنظمهُ في سلك مشتركيها . فعمد الى المداواة بالاكل والشرب وجعل يأكل و يشرب اقلّ مما يظنهُ الانسان كافياً لقوامهِ عادة حتى شفي وصار يستطيع ركوب الدراجة مسافة مئتي ميل في اليوم بعد ان شرع في معالجة نفسهِ بخمس سنوات . واضاف قانونًا آخر مهمًّا الى قوانين اطالة العمر وهو « امضغ طعامك سواء كان جامدًا او سائلاً كاللبن والشاي والقهوة والخمر والشوربة وسائر ما لهُ طعم » ويريد بالمضغ هنا اللوك وادارة ما في الفم باللسان حتى يزول طعمهُ و يُبلع في آنٍ معًا . وفلسفة ذلك ان اللعاب يمتزج بالطعام في الفم و يساعد على هضمهِ . وفلتشر هذا لا يزال حيًّا يرزق ولا يزال امامهُ مراحل كثيرة قبل مرحلة المئة ولكنهُ شديد الأمل ببلوغها سالمًا معافى

وخلاصة القول ليجتنب الانسان الافراط في كلّ شيء وليراع العادات القديمة وليقتبس عادات جديدة حسنة وليتنفس الهواء النقيّ وليكن طعامهُ ومزاجهُ متلائمين وليجتنب الادوية ما امكن اجتنابها وليكن قانعًا مسرورًا مطمئن البال — يعش مئة عام وهو لا يملّ من الثواء اذا لم تفاجئهُ طارئة تصرم حبل اجلهِ قبل الاوان

ومما يذكر في هذا الصدد ان « المجلة الكبرى » الانكليزية بعثت تسأل جماعة من مشاهير المعمرين عن سرّ طول اعمارهم فجاءتها اجوبة من البعض ومعظمهم من غير المدخنين وقد نشرناها في عدد ماضٍ . ثم جاءتها مقالة بقلم كاتب قضى زمانًا طويلاً يجمع الاحصاءات في هذا الموضوع وهاك ملخصها قال

مما يحسن الانتباه لهُ ان قسمًا كبيرًا من المعمّرين الذين أُحصوا الى الآن انما هم من النساء ومعظمهنَّ من اللواتي تشبثن بعادة التدخين كلَّ التشبث . واغرب من ذلك انهُ يتبين من الاحصاء الذي عندي ان مئة رجل ورجلاً من المعمرين الذين ماتوا وذكروا فيهِ كانوا من الذين تشبثوا بعادة التدخين ولم يطلقها منهم الاَّ منيتهم

اما النساء فمنهنَّ امرأة اسمها [illegible] توماس لقيها الملك ادورد ذات يوم وكان وليَّ العهد حينئذٍ وكانت هي في المئة والسابعة من عمرها فأعجب بها واعطاها شلينًا عن كل عام . وقد اعترفت انها كانت مولعة بشرب الدخان . ومنهنَّ امرأة من المكسيك اعتادت التدخين منذ كانت بنت عشر سنين فجاوزت المئة وكانت تقول انها اذا لم تدخن هاجت اعصابها وكثر قلقها . واخرى كانت تدخن مرة كل ساعتين وهي في المئة والسادسة من عمرها

ومعظم المعمرين والمعمرات من الفقراء الذين يعملون في الخلاء ويعيشون عيشة الزهد والبساطة وخصوصاً في طعامهم وشرابهم . ومن العلماء من يقول انهُ اذا عُني المرء باختيار طعامهِ امكنهُ ان يعيش ثلاث مئة سنة . وحجتهم في ذلك ان الشيخوخة نتيجة جفاف العظام وكلُّ من يروم التعمير يجب عليهِ ان يمتنع عن اكل الاطعمة التي تجفّف العظام . قال احد اطباء الانكليز ان سبب الشيخوخة رسوب موادّ ترابية في الجسم اخصُّها كربونات الجير وفصفاتهُ وامتزاجها بالمواد الاخرى . ففي زمن الشباب تخرج هذه المواد من المعدة وتدخل الدم ثم يفرزها الجسم الى الخارج واما في الشيخوخة فيمتصها الجسم وتصير جزءا منهُ . وأثبت دشامبر الفرنسوي احد مشاهير علماء التشريح ان الموت نتيجة جفاف العظام فان جمجمة الطفل لينة وعظام الشيخ سريعة الانقصاف ولا تلتحم اذا انقصفت . وقدّر ان تصلُّب العظام في الاحوال الطبيعية لا يبلغ الحدَّ الذي يحدث الموت عندهُ حتى بين التسعين والمئة . ووصف الطبيب الانكليزي المشار اليهِ آنفًا امورًا شتَّى لمقاومة جفاف العظام او تصلبها فأشار بأكل الاثمار لقلة ما فيها من النتروجين واكل السمك ولحم الضان والعجل والدجاج دون غيرها لكثرة الحامض الفصفوريك فيها وشرب ثلاث زجاجات كلَّ يوم من الماء المقطر وفي كل زجاجة عشر نقط الى خمس عشرة نقطة من الحامض الفصفوريك وان يقطَّر الماء الذي يشربهُ الشيوخ لان في الماء موادَّ تعجل تصلّب العظام

وقد أبان بعضهم ان متوسط عمر الانسان زاد عمّا كان عليهِ فيما مضى ولا يزال على ازدياد . ففي القرن السابع عشر كان متوسط العمر ١٣ سنة فزاد في القرن الثامن عشر حتى صار ٢٠ سنة وكان الناس يعدون ابن ٥٠ سنة فيهِ شيخًا همًّا . اما في ايامنا فان متوسط العمر بلغ في البلاد الانكليزية ٣٦ سنة . وقد ظهر من بعض الاحصاءات فيها ان ١٠٠ نفس من كلِّ الف نفس يبلغون سنَّ الخامسة والسبعين و ٣٨ سنَّ الخامسة والثمانين و ٢ سنة الخامسة والتسعين . وان رجلاً واحدًا من كلِّ ٤٠٠٠ يبلغ المئة وان قلة وفيات الاطفال هي السبب الاعظم في زيادة متوسط الاعمار

هذا وقد ظهر طبيب الماني حديثاً والقى خطبة في كلية الطب الامبراطورية في برلين قال فيها انهُ اذا فحصت اعضاء الجسم فحصاً دقيقاً باشعة اكس (اشعة رنتجن) أمكن تعيين العمر على وجه التقريب وبعبارة اخرى ان بين طول العمر وحجم الاعضاء المختلفة علاقة كبيرة فكلما كان القلب والرئتان والجهاز الهضمي والدماغ كاملة في تركيبها كان عمر صاحبها اطول وبالقياس الدقيق يعرف متى يحين اجلهُ . الّا ان هناك شواذَّ كثيرة لهذه القاعدة منها ان رجلاً عاش ١١٥ سنة وكان محيط صدرهِ ٥٧ سنتمترًا على حين ان محيط صدر الرجل العادي ١٠٠ سنتمتر او نحو ذلك . وكانت احدى رئتيهِ مريضة وتزوج خمس مرات ورزق ٤٩ ولدًا ونبتت اسنانهُ ثانيةً وهو ابن مئة واخذ شعرهُ يسودُّ وهو ابن ١١٠ . فمن من الاطباء والحالة هذه كان يقدّر لهُ هذا العمر الطويل

القطران وما يستخرج منهُ

من نواميس الكون العامّة عدم التلاشي اي ان الاجسام المادية لا تتلاشى ولا تضمحلّ بل تتحول من صورة الى اخرى فنقطة الماء التي يمطرها السحاب على اديم الصحراء تغور في الارض ويزول اثرها وتتلاشى ظاهرًا ولكنها في الحقيقة تتحوّل بخارًا يتصاعد الى الجوّ حيث يتكاثف سحابًا والسحاب ينعقد نقط ماء بينها النقطة التي نحن بصددها . وجرزة العشب التي يلتقمها الثور في مرعاهُ يمضغها وتهضمها معدتهُ وتمتصها امعاؤُهُ ويتمثل جسمهُ بعضها ويقذف بالبعض الآخر الى الخارج فتتلاشى ظاهرًا وتتحول في الحقيقة من حال الى حال وما يفرزهُ الثور منها في مرعاهُ تتغذى بهِ جرزة اخرى فكأن الجرزة الاولى انتجت جرزة ثانية من نوعها فلم تتلاشَ ولم تضمحل . وما يبقى في جسمهِ منها يصير بعضهُ لحمًا وبعضهُ غازات تخرج من جسمهِ وتعود كلها اخيرًا الى الارض التي أُخذت منها . والسيجارة التي تدخنها تأكلها النار فلا يبقى منها غير الرماد والرماد يتطاير كالهباء المنثور فلا يثبت لهُ اثر حتى تظنها اضمحلت ولكنَّ علماء الكيمياء يقولون لك انها لم تتلاشَ بالاحتراق بل انحلَّت الى عناصرها المختلفة وبقيت في هذه الارض ولم يتلاشَ منها شيءٌ ويؤيدون قولهم هذا بوزن عناصرها التي انحلت اليها باحتراقها فيرونك انها مثل السيجارة قبل تدخينها ثقلاً بل زادت بما امتزج بها من عناصر الهواء

فكأن عناصر هذا الكون وموادَّهُ المتنوعة في دوران مستمرّ تنتقل فيهِ من طور الى طور وتتبدَّل من شكل الى شكل — تحيا فتموت ثم تبعث حية وهلمَّ جرًّا ويسخّر الانسان بعضها في

ادوارها المختلفة لقضاء حاجاتهِ المختلفة ولا يبعد ان يجيء يوم يتمكن فيهِ من استخدامها جميعها في تلك الادوار لقضاء هذه الحاجة او تلك فلا يتلف شيءٌ ولا يضيع شيءٌ سدًى . فقد اهتدى على مرّ الزمن الى فائدة الزبل والرماد والخرق البالية وما اشبه من المواد التي كانت تحسب في بدء امرها نفايات مضى زمن نفعها وباتت لانفع منها فاستخدم الزبل لتسميد ارضهِ والرماد لاستخراج الصودا والبوتاس وللزراعة ايضاً والخرق لعمل الورق

وكلَّ يوم نسمع خبر اكتشافٍ جديد من هذا القبيل ومن اهم هذه الاكتشافات استخدام قطران الفحم الحجري وهو ما يتبقى من الفحم الحجري بعد ما يستخرج الغاز منهُ . فقد كانت شركات الغاز تحار في امرهِ ولا تهتدي الى فائدتهِ فتستأجر العمال لنقلهِ من ارضهِ وطرحهِ خارجاً . اما الآن فانهم يستخرجون منهُ كثيرًا من العقاقير الطبية والاصباغ والحوامض والزيوت والعطور وغيرها مما لا يستغني الناس عنهُ في شؤُونهم اليومية ومعايشهم

والسبب في كثرة هذه المستخرجات كثرة المواد التي يتألف القطران منها فانها تزيد على المئة عدًّا . ومعظمها مركبات كربونية واكثر مواد هذا الكون الآلية مركبات كربونية اي نتيجة اتحاد الكربون بالهيدروجين او الاكسجين او النتروجين على نسب مختلفة وتراتيب متنوعة . فاجسامنا مركبات كربونية وكذلك طعامنا وشرابنا ولباسنا وكلُّ ما فيهِ حياة او قابلٌ للحياة مركَّبٌ من مركبات الكربون

اما ما يستخرج من الفحم الحجري عند تقطيرهِ الاول فاربع موادّ مختلفة وهي غاز وسائلٌ وقطران ونفاية تستعمل وقودًا وهي الكوك المعروف . ويستخرج من السائل الامونيا ومركبات الامونيا من كبريتات وكلوريد وكربونات . واهم هذه النفايات القطران وهو اذا ترك على حالهِ يستعمل طلاء للورق واللباد لسقف المنازل وتبطينها بهما . واذا مزج بمثل ثقلهِ من الجير الراوي او سمنت بورتلند فمن ذلك طلاءٌ (فرنيش) يطلى بهِ الخشب فلا ينفذهُ الحامض ولا الماء . اغلِ الحجر فيهِ فلا يعود الازميل يخدشهُ ويمكن عمل حبر الطباعة منهُ ولهُ دخل عظيم في صناعة احذية الكاوتشوك

واذا قطّر القطران على نار خفيفة خرجت منهُ الزيوت التي هي اخفُّ من الماء مثل التولوين والبنزين واشباههما والزيوت التي هي اثقل من الماء مثل النفتالين والانتراسين . والبنزين المذكور هنا غير البنزين المعروف الذي تنظف الملابس بهِ فان هذا يقطّر من زيت البترول

وتصنع من النفتالين كرات صغيرة توضع بين الملابس لطرد العثّ منها . والحامض

الكربوليك يستخرج من الزيوت الثقيلة التي تقطَّر من القطران ولا يخفى انهُ من احسن مضادات الفساد واشهرها

واذا أُضفت الى البنزين الذي نحن بصددهِ شيئًا من الحامض النتريك خرج منهُ زيت المر الصناعي وهو زيت رائحتهُ كرائحة زيت اللوز المر يطيَّب الصابون بهِ ويضاف الى دهان الاحذية والى اشياء اخرى كثيرة اخفاء لماهيتها برائحتهِ

واستخرج بعض علماء الالمان من زيت المر منذ نحو سبعين سنة مادة تشبه النيل في جوهرها سميت انيلين من أَنيل وهو محرَّف اسم النيل بالعربية . ولكن هذا الاستنباط لم يُفد شيئًا حتى قام رجل انكليزي اسمهُ بركن سنة ١٨٥٦ وحاول عمل الكينا الصناعية من الانيلين علمًا منهُ ان بين الكينا والانيلين قرابة ليست ببعيدة فلم يُفلح في ذلك ولكنهُ اكتشف مادَّة اخرى غير التي كان يفتش عنها . والقصة التي يروونها في هذا الصدد لطيفة وهي ان بركن قضى ذات يوم يقلّب ويجرّب ويعدُّ ويحسب فلم يهتدِ الى شيءٍ فتناول نفاية تجاربهِ وصبها كلَّها في اناء واسع ووضعهُ في شباك غرفتهِ ثم أَلقى بنفسهِ على كرسيهِ كاسف البال لإخفاق تجاربهِ . وحانت منهُ التفاتة الى الاناء بعد ذلك فرأَى مادة ارجوانية اللون تبصُّ فيهِ كأَنها جوهرة وكان هذا بدء اختراع الانيلين . ولكن القصة غير صحيحة من حيث ظهور المادة الارجوانية والحقيقة انهُ اخذ الراسب واستخرج المادة المطلوبة بعد عناء كثير

ووُجد فيما بعد ان جوهر الانيلين الذي يستخرج من قطران الفحم الحجري يمكن ان يصير احمر اللون او بنفسجيًّا او ارجوانيًّا . وفي سنة ١٨٦٨ شرع بعض كيماويي الالمان يجربون التجارب لاستخراج جوهر الصبغ الذي في نبات الفوة ففازوا بمرادهم وكان نبات الفوة يزرع بكثرة في بلدان اوربا الجنوبية حتى بلغ ثمن ما بيع منهُ في السنة السابقة للاكتشاف المذكور نحو مليون وربع من الجنيهات فهبط سنة ١٨٩٢ الى ٦ آلاف جنيه وانقرضت بذلك زراعة الفوة

هذا ولما كان انيلين النيل وانيلين قطران الفحم الحجري واحدًا في جوهرهما وكان الثاني ارخص من الاول اخذ يحلُّ محلَّهُ ولولا عناية الحكومة الانكليزية بنبات النيل وخوفها ان تخرب بيوت ملايين من فلاحي الهنود اذا بارت سوقهُ وأُبطل زرعهُ لأَصابهُ ما اصاب الفوة قبلهُ

ومن المواد النافعة المستخرجة من القطران الانتيبارين والفناسيتين اللذان يوصفان للصداع والسلفونال او التريونال او الهيبنون وغيرها من العقاقير المتنوعة التي تتناول لعلاج الارق والحامض السليسيليك الذي يوصف للروماتزم وغيرهِ

ومن الزيوت الخفيفة المستقطرة من القطران التولوين يستخرج منهُ مسحوق حلاوتهُ ثلاث مئة ضعف السكر يسمى السكارين وهو يفضل السكر العادي من وجوه كثيرة فان السكر العادي كثيرًا ما يحدث مغصًا في الاطفال الذين يرضعون من الرضاعة وغيرهم ممن يشرب القهوة المحلاة بالسكر لاختمارهِ في معدهم فاذا حلي اللبن والقهوة وغيرهما بالسكارين لم يحدث شيء من ذلك لان السكارين لا يحمض ولا يختمر كالسكر. والمعرضون لمرض البول السكري يعتمدون عليهِ في تحلية طعامهم

ويستخرج من القطران انواع كثيرة من العطور كالمسك الصناعي وثمن الرطل منهُ نحو ٥٠ جنيهًا وعطر الخزام والفانلا وما اشبه

وخلاصة القول ان هذه المادة السوداء اللزجة اكثر مواد الكون اختلاطًا في تركيبها وتعددًا في عناصرها واجسامنا وجميع ما يتعلق بها من مأكل وملبس مشابهة للقطران ومشتقاتهِ

تاريخ محمد علي باشا

حال القطر قبل توليتهِ

وعدنا في الجزء الماضي ان نبسط الكلام على حال القطر المصري قبلما تولاهُ محمد علي باشا وفي مدة ولايتهِ وبعدها اظهارًا لما لهُ فيهِ من المآثر وانجازًا لذلك نقول

انتهى احتلال الفرنسويين للقطر المصري بعد ان اقاموا فيهِ نحو ثلاث سنوات فقد وصلت طلائع جيشهم الى الاسكندرية في اول يوليو سنة ١٧٩٨ واقلعوا منها في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٠١ وكانت تلك السنوات الثلاث سنوات حروب وثورات ومع ذلك استتبَّ لعلمائهم ان يبحثوا في جغرافية البلاد وآثارها وزراعتها وصناعتها ويؤلفوا في ذلك من الكتب ما لم يؤلَّف مثلهُ لا قبلهُ ولا بعدهُ واستتبَّ لجنودهم ان يضعفوا شوكة المماليك حتى صار اذلالهم امرًا ميسورًا ولرجال الادارة منهم ان ينظموا حال البلاد ويجروا فيها من العدل ما كان اجراؤُهُ ممكنًا مع شدَّة التحريض عليهم من كل جهة

قال الجبرتي عند ذكرهِ محاكمة الذي قتل الجنرال كلابر انهُ ذكرها على ركاكة لغتها لانها "تتضمَّن خبر المرافعة وكيفية المحاكمة ولما فيها من الاعتبار وضبط الاحكام من هؤُلاء الطائفة الذين يحكّمون العقل ولا يدينون بدين وكيف تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل افاقي اهوج وغدرهُ وقبضوا عليهِ وقرروهُ ولم يعجلوا بقتلهِ وقتل من اخبر عنهم بمجرَّد الاقرار

بعد ان عثروا عليهِ ووجدوا معهُ آلة القتل مضمخة بدم ساري عسكرهم واميرهم بل رتَّبوا محكمة ومحاكمة واحضروا القاتل وكرروا عليهِ السؤَال والاستفهام مرةً بالقول ومرة بالعقوبة ثم احضروا مَن اخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفَّذوا الحكم فيهم بما اقتضاهُ التحكيم واطلقوا مصطفى افندي البرصلي الخطاط حيث لم يلزمهُ حكم ولم يتوجَّه عليهِ قصاص كما يُفهم جميع ذلك من المسطور بخلاف ما رأيناهُ بعد ذلك من افعال اوباش العساكر الذين يدَّعون الاسلام ويزعمون انهم مجاهدون وقتلهم الانفس وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرَّد شهواتهم الحيوانية ممَّا سيتلى عليك بعضهُ بعدُ "

وقال بعيد ذلك واصفًا الديوان الذي رتبهُ الجنرال منو لادارة الاحكام "وفيهِ (اي في جمادى الثانية سنة ١٢١٥) شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الاول من تسعة معممين لا غير وليس فيهم قبطي ولا وجاقلي ولا شامي وليس فيهِ خصوصي ولا عمومي بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء وهم الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان والشيخ المهدي كاتب السر والشيخ الامير والشيخ الصاوي وكاتبهُ والشيخ موسى السرسي والشيخ خليل البكري والسيد علي الرشيدي نسيب ساري عسكر والشيخ الفيومي والقاضي الشيخ اسمعيل الزرقاني وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسمعيل الخشاب والشيخ علي كاتب عربي وقاسم افندي كاتب رومي وترجمان كبير القس رفائيل وترجمان صغير الياس نخر الشامي والوكيل فوريه ويقال لهُ مدير سياسة الاحكام الشرعية . وعينوا عشر جلسات في كل شهر واعدوا للمترجمين والكتبة الفرنسوية مكانًا خاصًّا يجلسون فيهِ في غير وقت الديوان لترجمة اوراق الوقائع وغيرها وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا ايضًا بجانبها دارًا نفذوها اليها وشرعوا في تعميرها وتأنيقها وسموها بمحكمة المتجر واخذوا يرتبون انفارًا من تجار المسلمين والنصارى يجلسون فيها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار والكبير على ذلك كلهِ فوريه ... ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة اربعة عشر الف فضة في كل شهر وللقاضي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين وباقي الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء "

وكان الساري عسكر وهو الجنرال منو قد اعتنق الاسلام ويظهر ممَّا كان يخاطب بهِ اهل مصر انهُ كان يبذل اقصى الجهد لجعلهم يحبون النظام وينظمون احوال البلاد من كل وجه وقد احصى المواليد والوافيات والزيجات وضبط الاملاك "حتى يتسَّر للحاكم الشرعي الحكم بالعدل والانصاف وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ". وهذه الفقرة منقولة عن كتاب طويل كتب بهِ الى مشايخ الديوان ردًّا على تهنئتهم لهُ بمولود رُزق بهِ من زوجتهِ ابنة الرشيدي

وقد استهلهُ بالبسملة والشهادة فقال “بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الاَّ الله محمد رسول الله من عبد الله جاك منو ساري عسكر امير عام جيوش دولة جمهور الفرنسوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى حضرة المشايخ والعلماء اهالي الديوان المنيف بمصر القاهرة حالاً ادام الله فضائلهم ” وختمهُ بقولهِ “ اننا نشكر فضلكم على ما اظهرتم لنا تهنئةً بولادة ولدي السيد سليمان مراد جاك منو فنطلب من الله سبحانهُ وتعالى واسألهُ كذلك بجاهِ رسولهِ سيد المرسلين ان يجود عليَّ بهِ زمانًا مديدًا وان يكون للعدل محبًّا وللاستقامة والحق مكرمًا وفي وعدهِ صادقًا وان لا يكون من اهل الطمع ”

وسواء كان الجنرال منو مخلصًا في اسلامهِ او غير مخلص وسواء عبَّر هذا الكتاب عمَّا يخالج ضميرهُ حقيقةً او عما يخالج ضمير كاتبهِ لهُ فلا شبهة في ان تكرير النصح والارشاد على الصورة التي فيهِ يؤثر في النفوس الاَّ اذا كانت خالية من جراثيم الفضائل . ولم يكن الجبرتي متشيعًا للفرنسويين ولا مغضيًا عن زلاَّتهم بل ذكرها واسهب فيها فخطأ هدمهم لكثير من المنازل لكي يبنوا من انقاضها الاسوار والاستحكامات ويتسع معهم مجال الهجوم والدفاع . وتغريمهم الناس بالاموال الباهظة لدفع النفقات الكثيرة التي كانت لازمة لهم واغراءهم النساء المصريات بالجري على عادات نسائهم قال “انهُ لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهنَّ حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهنَّ الطرح الكشمير والمزركشات المصبوغة ويركبنَ الخيول والحمير ويسقنها سوقًا عنيفًا مع الضحك والقهقهة فمالت اليهم نفوس اهل الاهواء من النساء الاسافل والفواحش فتداخلنَ معهم لخضوعهم للنساء وبذل الاموال لهنَّ وكان ذلك التداخل اولاً مع بعض احتشام وخشية عارٍ ومبالغة في اخفائهِ فلما وقعت الفتنة الاخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا في اهلها واخذوا ما استحسنوهُ من النساء والبنات صرنَ مأسورات عندهم فزيوهنَّ بزي نسائهم واجروهنَّ على طريقتهنَّ في كامل الاحوال فخلع اكثرهنَّ نقاب الحياء بالكلية ... وخطب الكثير منهم بنات الاعيان وتزوجوهنَّ رغبةً في سلطانهم ونوالهم فيظهر حال العقد الاسلام وينطق بالشهادتين . وصار مع حكام الاخطاط منهم النساء المسلمات متزيات بزيهم ومشينَ معهم في الاخطاط للنظر في امور الرعية والاحكام العادية والامر والنهي وتمشي المرأة بنفسها او معها بعض اترابها واضيافها وامامها القواسة والخدم وبايديهم العصي يفرجون لهنَّ الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن في الاحكام

“ولما اوفى النيل اذرعهُ ودخل الماء في الخليج وجرت فيهِ السفن وقع عند ذلك من

تبرُّج النساء واختلاطهنّ بالفرنسيس ومصاحبتهم لهنّ في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل وعليهنّ الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة وصحبتهم آلات الطرب "

وخلاصة القول ان الجبرتي لم يترك للفرنسويين شائبة الاَّ ذكرها مصورًا اياها بالصورة التي رآها فيها لكنهُ كان نقَّادًا منصفًا على حسب ما كان يتراءى لهُ فشهد لهم بعدل الاحكام كما شهد على غيرهم بالجور والعسف وعلى كثيرين من اهالي مصر بانهم لم ينفكوا عن مكاتبة اعداء الفرنسويين وتحين الفرص للايقاع بهم او اخذهم الامور بالهزل والسخافة

ويظهر لنا انهُ لولا انكلترا لكانت مصر الآن بلدًا فرنسويًّا كسائر الولايات الفرنسوية لكن انكلترا عاونت الباب العالي على استرجاع الديار المصرية ثم تركتها لهُ لا لانها كانت تعجز عن البقاء فيها كما بقيت في الهند ولا لانها كانت تعلم ان العثمانيين اصلح لادارتها من الفرنسويين بل لانها كانت تظن ان مصلحتها تقتضي بقاء هذه الديار جزءًا من السلطنة العثمانية. وقد انفقت على استرجاعها اموالاً طائلة فان ما انفقتهُ الهند وحدها في هذا السبيل بلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات وجاءت الجنود العثمانية بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم لمعاونة الانكليز على ذلك وكانت مؤلفة من الانكشارية والارنؤود ومحمد علي في قيادة فرقة من الارنؤود

ولما رأى الفرنسويون ان لا قبَل لهم بمناوأة الانكليز والعثمانيين بعد ان قطع الانكليز سد ابي قير وحصروا الجنرال منو في الاسكندرية ومنعوهُ من نجدة جنود القاهرة صالحوهم على الخروج من القاهرة بكل ما لهم من مال ومتاع وتعهد الانكليز ان يقدموا لهم الركائب برًّا والمراكب بحرًا لايصالهم الى فرنسا . ولما خرجت الجنود الفرنسوية من القاهرة عجب الانكليز من كثرة عدَدهم وعِددهم واستعظموا الفوز الذين فازوا بهِ بأخذ المدينة من غير قتال. وتم عقد الصلح في القاهرة في ٢٣ يونيو سنة ١٨٠١ واشترط فيهِ ان يخرج الفرنسويون منها في مدة خمسين يومًا ويمضوا الى رشيد ويقلعوا من هناك الى بلادهم بسفن يعدها لهم الانكليز ويجوز لكل احد من اهل مصر ومن سكانها ان يذهب معهم ويقدم لهم الانكليز كل ما يحتاجون اليهِ من نفقة ومؤُونة وجمال ومراكب . ويبقى جرحاهم في مصر ليعالجوا فيها الى ان يشفوا وينفق عليهم العثمانيون

ولم يكد الفرنسويون يخرجون من القاهرة حتى حلت فيها الفوضى وفعل العثمانيون المنكرات. ذكر الجبرتي " ان شخصًا من العسكر شرب شربة من عرق السوس ولم يدفع ثمنها فكلم صاحبها القلق الانكشاري فاحضرهُ وامرهُ بدفع ثمنها ونهرهُ واراد ضربهُ فاخرج العسكري الطبنجة وضرب القلق فقتلهُ وهرب الى حارة الجوانية ودخل الدار وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص

على كل من قصده ُ فقتل خمسة ومرَّ شخصان من الارنؤود بتلك الخطة فقتلهما الانكشارية لكون الغريم ارنؤوديًّا من جنسهما فلما اعياهم امره ُ حرقوا عليهِ الدار فخرج هاربًا فقبضوا عليهِ وقتلوه ُ وقُتل تسعة اشخاص في شربة عرق سوس. ووقع في ذلك اليوم ايضًا ان شخصين من القليونجية دخلا دار رجل نصراني فاخذا منها بقجتين من الثياب وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخراهما في حمل البقجتين فخرج النصراني وشكا امره ُ الى القلق فامر بالقبض على العسكريين فتخلصا وهربا بعد ان جُرح احدهما فاخذوا الشخصين المسخرين وقطعوا رأسيهما ظلمًا وعدوانًا وذلك من مبادىء قبائحهم... وكثر اشتغال العسكر بالبيع والشراء وتسلطوا على الناس بطلب الكلَف ورتبوا على السوَّاقة وارباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن وكذلك يشربون القهوة من القهاوي ويحتكرون ما يريدون من الاصناف ويبيعونها باغلى الاثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالاذية لادنى سبب وتعرَّضوا للسكان في منازلهم فتأتي منهم الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون اهلها بالخروج منها ليسكنوها فان لاطفهم الساكن واعطاهم داره ُ تركوه ُ وان عاندهم سبوه ُ وضربوه ُ ولو عظيمًا وان شكا الى كبيرهم قوبل بالتبكيت ويقال له ُ ألا تفسحون لاخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وانقذوكم من الكفار. والقلقات والانكشارية الذين دخلوا حارات النصارى كلفوهم اضعاف ما كلفوا بهِ المسلمين. ويأتي الشخص من العسكر ويجلس على بعض الحوانيت ثم يقوم فيدعي ضياع كيسهِ او سقوط شيء منهُ ويبدلون الدنانير الزيوف الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهرًا وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح فتذهب الجماعة منهم الى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية ويوهمونهم انهم حضروا اليهم بأوامر اما لرفع الظلم عنهم او ما يبتدعونهُ من الكلام المزور ويطلبون حق طريقهم مبلغًا عظيمًا ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلَف الفاحشة ويخطفون الاغنام ويهجمون على النساء وغير ذلك مما لا يحيط بهِ العلم. او يركب العسكري حمار المكاري قهرًا ويخرج بهِ الى جهة الخلاء فيقتل المكاري ويذهب بالحمار فيبيعهُ في ساحة الحمير وتسلطوا على الناس بالسب والشتم وجعلوهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك وتمنى اكثر الناس وخصوصًا الفلاحين احكام الفرنسوية " انتهى باختصار

واكثر الجبرتي من مثل هذا الكلام والظاهر ان طابع كتابهِ حذف منهُ اشياء كثيرة من هذا القبيل. ومع ذلك رأى هؤلاء الجنود المؤمنون واهالي مصر عمومًا ان الفرنسويين الكفار قد نجسوا ارض مصر فارادوا ان يطهروها من آثارهم " فاحضروا ابنة الشيخ البكري وكانت

ممن تبرَّج مع الفرنسيس وسأَلوها عما كانت تفعلهُ فقالت اني تبت عن ذلك فقالوا لوالدها ما تقول انت فقال اقول اني بريءٌ منها فكسروا رقبتها " واحضروا امرأة تسمَّى هوى كانت تزوجت رجلاً اسمهُ نقولا القبطان ثم هربت وعادت الى زوجها الاول فاستأذن الوزير في قتلها فاذن لهُ فخنقها في ذلك اليوم ومعها جاريتها البيضاء ام ولدهِ وقتلوا ايضاً امرأتين من اشباههن ". ومن هذا القبيل ان الوزير كان يذهب الى الجامع ويحضر الجمعة وهذان الفعلان اي قتل بعض النساء والذهاب الى الجامع كفيا لتطهير البلاد من الكفار. اما اعمال الانكشارية وغيرهم من الجنود العثمانية واطلاق العنان للمماليك في الصعيد وسلب اموال العباد بما لا يحصى من الاساليب كل ذلك مما يُغتفَر لان الجنود مؤمنون جاؤُوا لانقاذ اخوانهم من الكفَّار

ثم ارسلت الجنود العثمانية الى الصعيد للايقاع بالمماليك واستئصال شأفتهم لكن اهالي البلاد نفروا منهم على ما قالهُ الجبرتي " لما رأوهُ فيهم من الظلم والفجور والعنف باهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والحرق وذلك هو السبب الداعي لنفور اهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرلية " اي المماليك

ولما ضاق الامر بالمماليك كتبوا الى والي مصر ما ملخصهُ نقلاً عن الجبرتي " ان الارض ضاقت عليهم واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم وانهم في طاعة الله والسلطان ولم يقع منهم ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم فانهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية وابلوا بالفرنسوية فجوزوا بضد الجزاء ولا يهون بالنفس الذل والاقبال على الموت فاما ان تعطونا جهة نتعيَّش فيها او ترسلوا لنا اهلنا وعيالنا وتشهّلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها الى جهة الحجاز او تعينوا لنا جهة نقيم فيها نحو خمسة اشهر مسافة ما تخاطب الدولة في امرنا ويرجع الينا الجواب ونعمل بمقتضى ذلك فان لم تجيبونا لشيءٍ من ذلك فيكون ذنب الخلائق في رقابكم لا رقابنا "

فاجيبوا باعطاء الامان لجميع الامراء المصرلية وانهم يحضرون الى مصر ويقيمون فيها ولهم ما يرضيهم ما عدا ابرهيم بك الالفي وعثمان بك البرديسي وابا دياب فانهم مطلوبون الى حضرة السلطان ليتوجهوا اليهِ فيعطيهم مناصب وولايات كما يحبون وان لم يرضوا فليأخذوا اقطاع اسنا ويقيموا فيهِ. ولما وصلهم هذا الجواب وقرأوهُ في ديوانهم وعساكرهم مصطفة حولهم ببنادقها تكلم الالفي وقال للرسل " اما قولكم نذهب الى اسلامبول ونقابل السلطان ينعم علينا فهذا مما لا يمكن وان كان مرادهُ ان ينعم علينا فاننا في بلادهِ وانعامهُ لا يتقيَّد بحضورنا بين يديهِ واما بقية اخواننا فهم بالخيار ان شاءُوا اقاموا معنا والاَّ ذهبوا وكل انسان امير نفسهِ واما كون

حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا فلا يكفينا هذا وانما يكفينا من اسيوط الى آخر الصعيد ونقوم بدفع خراجهِ فان لم يرضوا بذلك فان الارض لله ونحن خلق الله نذهب حيث شئنا ونأْكل من رزق الله ما يكفينا ومَن اتى الينا حاربناهُ حتى يكون من امرنا ما يكون "

وكانت المصيبة بالمماليك مزدوجة على اهل القطر فهم يظلمون الناس حيث حلُّوا ويسلبون ما عندهم والجنود التي ترسل لمحاربتهم تفعل فعلهم او تزيد حتى بلغ انين الاهالي عنان السماء وحاول الانكليز انقاذهم من الجور مرارًا ولكن ليس جملةً

هذا ولنعد الى ذكر الحوادث التاريخية المهمة مع ما يتصل بها من الامور الاجتماعية فنقول: ان الجنرال منو حاصر في الاسكندرية ولم يسلم وقتما سلّمت القاهرة ولكنهُ اضطرَّ اخيرًا الى التسليم فسلَّم في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٠١ واقلعت الجنود الفرنسوية من الاسكندرية في ١٨ سبتمبر بكل ما لهم من اتباع ومتاع وبلغ عددهم احد عشر الفًا عدا الذين اقلعوا من رشيد من حامية القاهرة وقد انفق الانكليز النفقات الطائلة في هذه الحملة على غير جدوى لان السر هنري سمث كان قد عقد معاهدة مع الفرنسويين في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ على ان يخرجوا من القطر المصري كما خرجوا منهُ الآن وهي المعروفة بمعاهدة العريش ولكن الحكومة الانكليزية ابت التصديق عليها ثم عادت الى التصديق على مثلها تمامًا بعد ما مرَّ عشرون شهرًا وخسرت الملايين الكثيرة من اموالها والالوف من رجالها وقائد الحملة كلها وهو الجنرال ابركرمبي الذي قتل امام الاسكندرية

وخرج الفرنسويون من الديار المصرية كما تقدم ثم تبعهم الانكليز وبقيت البلاد في يد العثمانيين وكانت الدولة قد ولَّت عليها واليًا اسمهُ محمد باشا خسرو فوصلها في اوائل سنة ١٨٠٢ ودخل القاهرة في ١٧ رمضان سنة ١٢١٦ الموافق ٢١ يناير سنة ١٨٠٢ ولم يفعل من الافعال التي ترضي الاهالي الَّا حضورهُ الجمعة وزيارتهُ الاضرحة واكثارهُ من الباس الفراء للذين يريد اصطناعهم او تملقهم اما سيرهُ في سياسة البلاد فيدل على جهل مطبق وميل الى ارهاق الناس بكل واسطة ممكنة ولو كان نفعهُ منها قليلاً مثال ذلك اغراؤُهُ اهالي العاصمة برفع التراب والانقاض من امام منزلهِ قال الجبرتي "واحضروا قوائم ارباب الحرف التي كتبت ايام الفرنسيس ونبهوا عليهم بالحضور فاول ما بدأُوا بالنصارى الاقباط فحضروا يتقدمهم رؤَساؤُهم جرجس الجوهري وواصف وفلتوس فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفي ثاني يوم حضر منهم طائفة كذلك ولما انقضت طوائف الاقباط حضر النصارى الشوام والاروام ثم طلبوا ارباب الحرف من المسلمين وبعد ان يفرغوا من العمل ويؤْذن لهم في الذهاب يلزمونهم بدراهم يقبضها مهتار

باشا برسم البقشيش للطبالين والزمارين واذا حضرت طائفة ولم تقدِّم بين يديها هدية اوجعالة طوَّلوا عليها المدة واتعبوها واستحثوها . فاجتمع على الناس عشرة اشياء من الرذالة وهي السخرة والعونة واجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الاعداء وتعطيل المعاش واجرة الحمام" (للتنظيف من الوسخ)

وكان يحاول احياناً التكفير عن ذنوبهِ بزيارة جامع او ضريح وتفريق شيءٍ من المال او الحنطة على طلبة العلم الاَّ ان الجبرتي لم يغترَّ بذلك بل قال فيهِ

وانها خطراتٌ من وساوسهِ يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرَما

واخيراً قام الارنؤود عليهِ باغراء محمد علي وحصروهُ في دارهِ وحرقوها عليهِ وكانت اخر دور مصر كما سيجيء فخرج منها وهرب بحاشيتهِ وعزوتهِ من الجند بعد ان اقام في الولاية سنة وثلاثة اشهر وواحداً وعشرين يوماً وكان على ما قال الجبرتي "سيء التدبير لا يحسن التصرُّف يحب سفك الدماء ولا يتروَّى في ذلك ولا يضع شيئاً في محلهِ يتكرَّم على مَن لا يستحق ويبخل على من يستحق وفي آخر مدتهِ داخلهُ الغرور وطاوع قرناء السوء المحدقين بهِ والتفت الى المظالم والفرَد على الناس فانقذ الله منهُ عبادهُ وسلَّط عليهِ جندهُ فخرج مرغوماً مقهوراً على هذه الصورة ولم يزل في سيرهِ الى ان نزل بقليوب بعد الغروب فعشَّاهُ الشواربي شيخ قليوب ثم سار ليلاً الى دجوة فانزل الحريم والاثقال في ثلاث مراكب وسار هو الى جهة بنها ومنها الى دمياط وغالب جماعتهِ تخلفوا عنهُ بمصر وكذلك الكتخدا وديوان افندي والخازندار والسلحدار"

وفي ١٤ محرم سنة ١٣١٨ اجتمع المشايخ والقاضي ورؤساء الجند بايعاز محمد علي وولَّوا عليهم رجلاً من الارنؤود اسمهُ طاهر باشا او جعلوهُ قائمقاماً الى ان تأتيهُ الولاية من الاستانة لكن الانكشارية نقموا عليهِ لانهُ مال الى الارنؤود وهجموا عليهِ وقتلوهُ بعد ان قام في الولاية ستة وعشرين يوماً . قال الجبرتي "ولو طال عمرهُ اكثر من ذلك لاهلك الحرث والنسل وكان بهِ هوس وانسلاب وميل للمساوبين والمجاذيب والدراويش وعمل لهُ خلوة بالشيخونية كان يبيت فيها كثيراً ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي الى السطح في الليل ويذكر معهُ"

وكان احمد باشا والي المدينة المنورة في مصر فرغب الناس في توليتهِ عليهم فعارضهم محمد علي في ذلك فجمع احمد باشا المشايخ وطلب منهم ان يجمعوا الرعية ويأمروهم بالخروج على الارنؤود وقتلهم وكان محمد علي والارنؤود رجالهُ في القلعة فجعلوا يطلقون المدافع على بيت احمد باشا فاخذ امرهُ في الانحلال وكان المماليك قد حضروا الى امام مصر والظاهر انهم مالأُوا الارنؤود على الفتك بالانكشارية وبكل مَن ناوأهم فارسلوا الى احمد باشا ليخرج من

المدينة فتركهُ من كان معهُ من اعيان العثمانية وذهبوا الى محمد علي والتجأُوا اليهِ وخرج احمد باشا في حالة شنيعة واتباعهُ مشاة بين يديهِ وعند ما خرج من البيت دخلهُ الارنؤُود ونهبوا جميع ما فيهِ وكانت مدة ولايتهِ يوماً وليلةً . والتجأ الدفتر دار وكتخدابك الى محمد علي فاذن لهما في الذهاب الى بيتيهما ثم هجم الارنؤُود عليهما وقتلوهما

وولت الدولة وزيرًا اسمهُ علي باشا الطرابلسي فاتى الى الاسكندرية وكتب الى امراء المماليك يعلمهم بوصولهِ ويخبرهم انهُ وُلّي على الاقطار المصرية من الاسكندرية الى اصوان وقال لهم في آخر كتابهِ كان الواجب ان لا تدخلوا المدينة (القاهرة) الاَّ باذن من الدولة فان سيف السلطنة طويل وربما استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين لا طاقة لكم بهم . فكتبوا اليهِ جوابًا قالوا فيهِ . "انهُ لما كان محمد باشا متوليًا بذلنا الجهد في استرحامهِ وهو لا يزيد معنا الاَّ قسوةً ولا يسمح لنا بالاقامة في القطر المصري جملة وجرَّد علينا التجاريد من كل جهة وكان الله ينصرنا عليهِ في كل مرة الى ان حصل بينهُ وبين عساكرهِ وحشة بسبب علوفاتهم فقاموا عليهِ وحاربوهُ واخرجوهُ من مصر بمعونة طاهر باشا ثم قامت الانكشارية على طاهر باشا وقتلتهُ ظلمًا وقامت العساكر بعضها على بعض وكنا حضرنا الى جهة الجيزة باستدعاء طاهر باشا فلما قُتل بقيت المدينة رعيةً من غير راعٍ وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم فحضر الينا المشايخ والعلماء واختيارية الوجاقلية واستغاثوا بنا فارسلنا من عندنا من ضبط العساكر وامَّن المدينة والرعية . واما محمد باشا فانهُ نزل الى دمياط وظلم البلاد والعباد وفرَّد عليهم الفرَد الشاقة فتوجه عثمان بك البرديسي لتأْمين اهالي القرى الى ان وصل الى ظاهر دمياط فاقام بمن معهُ خارج المدينة فما شعر الاَّ ومحمد باشا صدمهم ليلاً وحاربهم فحاربوهُ ونصرهم الله عليهِ فانهزمت عساكرهُ وقبض عليهِ . وهو الآن عندنا في الاعزاز والاكرام ونحن الآن على ذلك حتى يأْتينا العفو . واما قولكم اننا نخرج من مصر فهذا لا يمكن ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من اوطانهم واما قولكم ان حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين فاننا لا نستعين الاَّ بالله وقد ارسلنا عرضحال نطلب العفو ونترجَّى الرضا ونحن منتظرون الجواب"

وتلكأ علي باشا عن الحضور الى مصر وارسل الى المماليك يخبرهم برضا الدولة عنهم بشفاعة الصدر الاعظم يوسف باشا وشفاعتهِ هو وان يقيموا بارض مصر اين شاءوا وقطع لكل امير منهم خمسة عشر كيسًا فسروا بذلك ولكنهم عرفوا بعد حين انهُ عازم على الغدر بهم فخادعوهُ م والانؤود حتى جاء مصر واخبروهُ بما اطلعوا عليهِ من امرهِ وطردوهُ وقتلوهُ في اثناء الطريق

هو وحاشيتهُ وكان يحمل كفنهُ معهُ فنادى واحداً قبل ان اسلم الروح وقال لهُ بعرضك يا فلان ان معي كفناً داخل الخرج فكفني بهِ وادفني ولا تتركني مرمياً . قال الجبرتي وكان ذلك نتيجة ”سوء سريرتهِ وخبث ضميرهِ فلقد بلغنا انهُ قال لعسكرهِ ان بلغت مرادي من الامراء المصريين (المماليك) وظفرت بالارنؤود ابحت لكم المدينة والرعية ثلاثة ايام تفعلون بها ما شئتم والدليل على ذلك ما فعلهُ بالاسكندرية مدة اقامتهِ بها من الجور والظلم ومصادرات الناس في اموالهم وبضائعهم وتسلط عساكرهِ عليهم بالجور والخطف والفسق وترذيلهُ لاهل العلم واهانتهُ لهم حتى انهُ كان يسمي الشيخ محمد المسيري الذي هو اجل مذكور في الثغر بالمزوِر اذا دخل عليهِ مع امثالهِ“

ولا ندري هل ما رواهُ الجبرتي عنهُ كان صحيحاً او مختلقاً عليهِ فقد قال بُعَيد ذلك ”ان محمد علي حرَّش العساكر على محمد باشا خسرو وازال دولتهُ واوقع بهِ بمعونة طاهر باشا والارنؤود ثم استعان بالاتراك على طاهر باشا حتى اوقع بهِ ايضاً وظهر امر احمد باشا وعرف (اي محمد علي) انهُ اذا تمَّ لهُ الامر ونما امر الاتراك لايبقون عليهِ فعاجلهُ وازالهُ بمعونة الامراء المصرية (المماليك) واستقرَّ معهم حتى اوقع بالاشتراك معهم بالدفتردار والكتخدا ثم حاربوا محمد باشا بدمياط واخذوهُ اسيراً واحتالوا على علي باشا الطرابلسي واوقعوهُ في فخهم وقتلوهُ كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصاً للبرديسي (من امراء المماليك) فانهُ تآخى معهُ وجرح كلٌّ منهما نفسهُ ولحس من دم الآخر واغترَّ بهِ البرديسي وصدقهُ واصطفاهُ وفعل بمعونتهِ مافعل بالالفي الكبير واتباعهِ وشرَّدهم وقص جناحيهِ بيدهِ“

فان محمد بك الالفي الكبير وهو اعظم امراء المماليك ذهب الى البلاد الانكليزية فاكرمهُ الانكليز وردوهُ بالهدايا والتحف الكثيرة فحسدهُ سائر المماليك واضمروا لهُ السوء فاضطر ان يهرب من وجههم في البلاد ويختبئ في نجوع العرب وسلبوا كل ماجاء بهِ من البلاد الانكليزية

والظاهر من كلام الجبرتي ان المماليك فعلوا ذلك باغراء محمد علي

ثم ان محمد علي انقلب على المماليك واطلق محمد باشا خسرو الوالي الاسبق وانضمَّ اليهِ وطرد المماليك من القاهرة وضواحيها بعد ان نكل بهم ونهب عسكرهُ اموالهم وبيوتهم وامتعتهم وسبوا حريمهم وسراريهم وجواريهم واتصل اذاهم بالاهالي فخربوا بيوتاً كثيرة ونهبوا ما كان فيها ولم يطل الامر على محمد باشا خسرو حتى خُذل وجاء احمد باشا خورشيد من الاسكندرية وقوبل بالترحاب وجاءتهُ بشارة في ١٧ محرم سنة ١٢١٩ بتقليدهِ ولاية الديار المصرية ونصرهُ محمد علي في اول الامر ثم مضى الى الوجه القبلي لمنازلة المماليك فاستدعى احمد باشا جنوداً من

الدلاة لكي يعينوهُ على محمد علي وجنودهِ الارنؤُود كأَنهُ اوجس منهُ ومنهم شرًّا فلما وصل الدلاة الى مصر عاد محمد علي اليها حالاً فامرهُ احمد باشا بالعودة الى الصعيد لقتال المماليك فقال انهُ انما اتى في طلب العلائف

وجاء حينئذٍ قاصد من اسلامبول وعلى يدهِ تقليد لمحمد علي بولاية جدة فابى محمد علي الصعود الى القلعة ووقع الاتفاق على ان احمد باشا ينزل الى بيت سعيد آغا ويخلع عليهِ هناك خلعة ولاية جدة فلما حضر وحضر محمد علي وتقلَّد ولاية جدة وخرج يريد الركوب ثار عليهِ الجنود وطلبوا علائفهم فقال لهم هوذا الباشا عندكم وركب وذهب الى دارهِ بالازبكية وصار ينثر الذهب في طول الطريق فمضى الجنود الى احمد باشا ومنعوهُ من الركوب فوعدهم خيرًا وطلب الاموال الطائلة من الاهالي وارسل الدلاة الى قليوب لينهبوها فركب المشايخ الى بيت القاضي واجتمع معهم كثيرون من الرؤَساء والعظماء وذهبوا الى محمد علي وقالوا لهُ انا لا نريد احمد باشا حاكمًا علينا ولا بد من عزلهِ من الولاية فقال ومن تريدون واليًا قالوا لا نرضى الاَّ بك فتكون واليًا علينا بشروطنا لما توسمناهُ فيك من العدالة والخير فامتنع اولاً ثم رضي واحضروا لهُ كركاً وعليهِ قفطان وقام اليهِ السيد عمر والشيخ الشرقاوي فالبساهُ ونادوا بهِ واليًا على الديار المصرية وكان ذلك عصر الاثنين في ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ للهجرة الموافق ١٣ مايو سنة ١٨٠٥

ولم يستتب الامر لمحمد علي حالاً لان انصار احمد باشا كانوا كثارًا وكانت القلعة في يدهِ ووقع الجدال بين بعض انصارهِ وبين الذين ولوا محمد علي فقالوا لهم كيف تعزلون مَن ولاَّهُ السلطان عليكم وقد قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم. فقالوا لهم "ان اولي الامر هم العلماءُ وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان ان اهل البلد يعزلون الولاة حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونهُ ويخلعونهُ"

والظاهر ان الباب العالي رضي بما فعلهُ المصريون فبعث بفرمان التولية الى محمد علي من ٢٠ ربيع الاول ولُقّب فيهِ بمحمد علي باشا والي جدة سابقًا ووالي مصر حالاً وأُمر احمد باشا بالنزول الى الاسكندرية حتى يأْتيهُ امر بالتوجه الى بعض الولايات

ولا تكاد تجد في الجبرتي ولا في غيرهِ من التواريخ العربية سوى ذكر الحروب والمظالم والمغارم لكن يؤْخذ مما بين ذلك ما يدلُّ على ان الناس لم يتركوا زرعهم وعلى ان التجارة كانت رائجة بعض الرواج ولا سيما مع الشرق الاقصى ولولا الحروب والثورات لنال القطر المصري من ذلك ثروة وافرة جدًّا فقد نهب العرب مرة قافلة التجار الواصلة من السويس

وكان فيها اربعة آلاف جمل حاملة من البن والبهار والقماش. وتغدَّى احمد باشا مرة في دار السيد احمد المحروقي وجلس عندهُ نحو ساعتين ثم ركب وصعد الى القلعة فارسل المحروقي خلفهُ هدية فيها بقج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وذهب وتحائف وخيول لهُ ولكبار اتباعهِ

ويظهر مما كان يذكر عرضاً عن البضائع المنهوبة والمسلوبة ان التجارة كانت متصلة مع اليمن والهند والصين والبلاد الاوربية على قلة الامن وصعوبة المواصلات

وكذلك الصناعة لم تكن معدومة ولا سيما صناعة البناء والنقش كما يظهر من وصف بيت الالفي الذي حرق لما كان فيهِ خسرو باشا فقد قيل انهُ كان في كواهُ الواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم اي نحو خمسة عشر جنيهاً وكان مفروشاً كلهُ بالبسط الرومية والفرش الفاخر وفيهِ الستائر والموائد المزركشة وطاولات المراتب كلها مقصبات

هذا وسيأتي الكلام على ما اجراهُ محمد علي في هذا القطر مدة ولايتهِ

هل يسود السلام

لم تمرَّ بالانسان حقبة من التاريخ الَّا سمعنا لهُ بسعي في ابطال الحرب وتعزيز السلم ثم لم يكن يطول بسعيهِ المطال حتى كان يعود منهُ بصفقة الخاسر إمَّا لأن الحرب سنَّة طبيعية لا يمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لانهُ لم يأنِ الاوان لتأييد ملك السلام. وآخر ما اتاهُ الانسان من تلك المساعي واعظمهُ سعيُ قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام ويوجب على الدول المشتركة فيهِ إبطالِ المعدات الحربية وفصل كلِّ خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم. فعُقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أمسى مضغة في الافواه حتى سمّي بعضهم السلام الذي قررهُ بالسلام المسلَّح استهزاءً. وكأنهُ قُدّر لابن آدم الشقاء والبلاء فلكي لا يجرأ فيما بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها قيصر الروس نفسهُ الى غمارها فلبى مكرهاً او مختاراً وحكَّم الحسام بدل الكلام فكان من امرهِ مع اليابان ما كان

وليس يخافي انهُ ان كان ابطال الحروب ميسوراً فالزمان الحاضر ليس زمان البحث في ذلك اذ روسيا واليابان في حرب عوان والدول الاخرى واقفة بالمرصاد لهما تتعلَّم العظات والعبَر من حربهما. ولكن "وفي الساعة الظلماء يُفتقد البدرُ" فان البحث دائر الآن على عقد

الصلح بينهما وكفِّ اذى الحرب عنهما بعد ان غالتهما اغوالها . هذا بوجه خاص . وبوجه عام قام الكتَّاب من كلِّ حدب وصوب يعيدون الكرَّة ويبحثون في ما اذا كان تأْييد السلام امرًا ممكنًا وفي مقدمتهم مجلة انكليزية اسمها "مجلة لندن" فانها ارسلت السؤَال الآتي الى جماعة من الساسة والعلماء الذين يعوَّل على آرائهم في معضلات الامور وطلبت منهم الجواب عليهِ وهو "هل يمكن ان تبطل الحرب ويسود السلام او ان ذلك حلم في المنام لا يمكن تحقيقهُ" ثم اوردت الاجوبة التي جاءَتها او استنتجتها من الافعال والاقوال فقالت

جلالة الملك

لا يجهل احد ان جلالة الملك لا يخط سطرًا ولا يفوه بكلمة فيما يتعلق بالمسائل العمومية. ولكنهُ لم يكد يتسنَّم العرش حتى اشتهر بين القاصي والداني ميلهُ الى السلام وسعيهُ في اثرهِ فلقب بملك السلام . وانهُ وان كان يعلم ان الحرب ضرورة يستلزمها التمدن الحديث مهما جرَّت من الويل والدمار الَّا انهُ يعلم ايضًا ان منعها ممكن في بعض الاحوال وخير سبيل الى ذلك تقريب الامم بعضها من بعض وربطها بربط الاخاء والوداد كما ترمي اليهِ سياستهُ الآن

رئيس الولايات المتحدة

ما يصح على الملك يصح على رئيس الولايات المتحدة ايضًا . وقد باح برأْيهِ منذ عدة اشهر في رسالتهِ التي بعث بها الى مجلس الامة حيث قال "يجب ان يكون غرض هذه الامة الذي لا يحول وغرض سائر الامم المتمدنة ايضًا تقريب اليوم الذي يسود فيهِ العالم كلهُ سلام العدل على ان من السلام ضروبًا لا تستحب ولا يرغب عاقل فيها. فقد قام في العالم نفر من الظلَّام الغاشمين حولوا جنانهُ الناضرة مفاوز قاحلة وسمَّوا عملهم سلامًا ومفاوزهم ارض السلام . وكثيرون من الذين عرفوا بفتور الهمة والجبن وقصر النظر وابطرهم اليسر والرفاه وضرب الجهل عليهم قبابهُ احجموا احجام الانذال عن القيام بما يجب عليهم لما فيهِ من انكار النفس وحاولوا ستر قصورهم وتقصيرهم وغاياتهم الدنيئة عن عيونهم ومحو آثارها من صدورهم فسموا ذلك حب السلام. فمن الواجب علينا تجنب السلام الذي يجلبهُ ظلم الظالم وضعف الضعيف كما نتجنب الحرب الجائرة

اما الغاية التي يجب ان ترمي امتنا اليها وسائر الامم معها فهي بلوغ السلام العادل ذلك السلام الذي تأْمن كل امة في ظلهِ على حقوقها وتعترف بما يجب عليها للغير وتعمل بهِ. والغالب ان يكون السلام دليل الانصاف ولكن اذا تنافرا او اختصما فان الولاء يقضي علينا بالانحياز الى جانب الانصاف اولاً . والحروب الجائرة كثيرة والسلام الجائر قليل نادر ولكن الاثنين مكرهة فلنجتنبهما "

اللورد افبري (السر جون لُبك) العالم الانكليزي الشهير

كتب يقول "ان املي بسيادة السلام العام ضعيف جدًّا . فاننا نحن انفسنا شر قدوة للغير بزيادة نفقاتنا البحرية والبرية زيادة بالغة"

السر هنري فولر

وهو احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي ومن الذين تولوا مناصب سامية في الحكومة. وقد كتب يقول :

"ان تقرير السلام العام بحل اسباب النزاع والخصام بين الامم بالتحكيم دون الحرب امر صعب المنال جدًّا. واعتقد انهُ لابدَّ ان يجيء يوم تفضُّ الامم فيهِ مابينها من الخلاف بالوسائل السلمية ولكن ما من احد يستطيع ان يعين ذلك اليوم السعيد . على ان الخطى التي خطتها امتنا وغيرها من الامم في سبيل التحكيم تبشر بالخير وتدل على جهة اتجاه الرأي العام"

السر فردريك بولوك

من كبار رجال القضاء سابقًا . وقد كتب جوابًا اشار فيهِ الى مقالة كان قد كتبها في هذا الموضوع وقال ان ما قالهُ فيها يقولهُ الآن ايضًا . وهاك بعض ما جاء فيها : —

" يظنُّ الناس عمومًا ان ما يقع من الخلاف بين الحكومات مشابه لدعاوى الافراد وبالتالي انهُ يمكن فضُّ ذلك الخلاف في محاكم القضاء ولكن الامر ليس كذلك . فان الاختلافات الدولية المتعلقة بالحدود وحقوق الملكية تشبه الاختلافات التي تقع بين الافراد من هذا القبيل فتحلُّ بتعيين حَكَم او مجلس تحكيم يقبل الفريقان المتنازعان حكمهُ كما جرى في كثير من مسائل الحدود ممَّا لو وقع النزاع عليهِ في العصور السالفة لتقاضى المتنازعون فيهِ الى السيف

ولكنَّ هناك اسبابًا اخرى للنزاع والخلاف تنشأُ عن الاختلاف في تفسير بنود المعاهدات الدولية والاقوال الرسمية كما لو ادَّعت دولة محاربة على دولة محايدة بخرق حرمة الحياد . فدعوى مثل هذه لا تحلُّ في محاكم القضاء العادية بل بالمفاوضات السياسية

ومعظم الخطر في تنازع الدول السلطة والسيادة في بقعة من بقاع المعمور . والسبيل الوحيد الى تدارك هذا الخطر اتفاق عدة دول على حفظ السلم واتحادها معًا بحيث يتألف من ذلك الاتحاد قوة اعظم من القوة المقابلة . فهذا الاتفاق او الخوف منهُ منع كثيرًا من الحروب الصغيرة ولكنهُ قلَّما ينجع في حرب مع دولة قوية تستخنُّ بتعرض الغير لها او تستطيع استمالة هذه الدولة او تلك حفظًا لتوازن القوات

ويقال على وجه عام ان الدول العظمى مطالَبة بحلّ المسائل المتعلقة بكرامة اممها ومصالحها الجوهرية . والاعتبارات المادية والادبية التي تحمل الدول على لزوم الحذر والتدرُّع بالفطنة في حلّ المشاكل الدولية زادت زيادة تذكر في السنين الاخيرة . فالمادية اشهر من ان تذكر والادبية لا يمكن التعبير عنها بشكل محدود ولكنها عاملة وتأثيرها محسوس . اما معاهدات التحكيم فاذا بذلت العناية في ابرامها حتى تقتصر على الدعاوي التي يمكن التحكيم فيها دون غيرها فانها تستحق كلّ مدح لما فيها من الفائدة ولكنها ليست علاجاً ناجعاً في كلّ حال "

السر غلبرت باركر

من مشاهير كتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب قال في جوابهِ " لا يسعني التعلُّل بالآمال الكثيرة من حيث سيادة السلام والدلائل تنذر بحرب عامّة ومصيبة طامّة . وما دام في الارض امم همجية وامم اقتبست بعض التمدن وامم ذات تمدُّن كاذب فلا يمكن الوصول الى اتفاق تامّ على حلّ المنازعات التي تقع بينها . " فلنتكل على الله ولكن ليبقَ بارودنا جافًّا " (اي لنبقَ على حذر)

مستر مكنمارا

من مشاهير الكتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب ايضاً . قال

" لا أرى ثمة مانعاً يمنع من حل المنازعات الدولية بالتحكيم بدلاً من القوة مع ازدياد العلوم وانتشار المعارف . فقد كان الافراد قديماً يتحاكمون الى السلاح في حلّ الخصومات والآن قلما يفعلون ذلك حتى ان المبارزة باتت تظاهراً لا ضرر منهُ فيعمد المبارز اليها واحدى عينيهِ على جلدهِ والاخرى على قلم مخبر الجريدة (اي الغاية منها الشهرة لا غير) ومثل ذلك شان العائلات والقبائل فان ما بينهم من الخلاف يسوَّى الآن بالوسائط السلمية . والى مثلهِ سوف يصير شأن الامم الكبيرة في يوم من الايام . وان اتحاد الامم الانكليزية في العالم كلهِ يعجّل مجيء ذلك اليوم "

السر توماس باركلي

من كبار رجال القانون في انكلترا . وقد كتب يقول

" لست أرى ان دوام السلام امر ميسور لان من الحروب ما هو تنازع على البقاء كالحروب الاستعمارية التي تنشأ عن ازدحام السكان في بلاد وانتجاعهم بلاداً اخرى . ومنها حروب الاستقلال التي يفضي اليها ظلم الظالم وحكم الغاشم . ومنها الحروب المدنية وهي افضل ممّا يدعو اليها مهما اشتدت اهوالها وكثرت فظائعها . على انهُ لا يستحيل ان تصير الحكومات الجمهورية

أقرب الى العقل وأبعد عن الجهل واقلّ اندفاعاً مع تيّار العواطف واكثر اختباراً في الموازنة بين خطر الحرب وفائدتها وبين الشرور والمصائب التي تُشهَر الحرب لمعالجتها وازالتها

هذا وان اميال الناس الذين يتولون شؤون انفسهم متجهة الآن الى مقاومة كلّ ما من شأنهِ ان يجرّهم الى المشاكل الدولية والى تقليل سلطة حكوماتهم على تقرير السلم او الحرب. وتراهم ينظرون بعين النفور والاشمئزاز الى كلّ من يشير بتحكيم السيف ولو تلميحاً. واقول في الختام ان كلّ انكليزي او فرنسوي او اميركيّ او الماني يذكر الحرب مستخفًّا بها مستهيناً بامرها لا يعدُّ رجلاً يركن اليهِ ويعتمد عليهِ في شؤون الدولة الخطيرة "

مستر روفس أيزاك

احد اعضاء مجلس النواب ومن كبار تجار لندن قال : —

" غاية ما نتمناهُ ان تتوصل الامم الى حلّ المشاكل التي تقع بينها بالتحكيم فتُجتَنب الحرب بذلك. ولكننا بعيدون عن هذه الامنية الآن. ومع ذلك فاعتقادي ان الناس سوف يصبحون اقلّ ميلاً الى الحرب واكثر رغبة في التحكيم لقطع اسباب النزاع. فان هناك مسائل كثيرة يمكن حلّها بالتحكيم اما مسائل النزاع على السيادة والنفوذ بين امتين فلا أرى كيف تحلُّ بهِ. ويكاد يستحيل تأليف مجلس يرضى بهِ المتنازعان لحسم ما بينهما من النزاع واذا أُلّف فبأية الطرق ينفَّذ حكمهُ. فان قوانيننا واحكام محاكمنا تنفّذ بلا مقاومة لان قوات الدولة كلها تستخدم لتنفيذها اذا اضطرت الحال الى ذلك. ولكن كيف ينفذ حكم هذا المجلس في مصلحة احدى الامتين المتخاصمتين اذا رامت الامة الاخرى مقاومة تنفيذهِ "

السر وليم رمسي

احد كبار العلماء الطبيعيين عند الانكليز. قال

" ايّ شيءٍ اقول ولم يُقل الف مرة. كلنا نتمنى ان تبطل الحرب وذلك يتأتى لنا من احدى طريقين. فإما ان امة من الامم تخرق معاهدة جنيفا وتستخدم في حروبها كرات محشوة بالحامض الهيدروسيانيك (غازسام جدًّا) او مادة اخرى تميت الجيوش خنقاً. وهذا يحدث اذا ضاقت بها الحيل ووصلت الى الحد الاخير في استقتالها فتدعو الحالُ حينئذٍ الى محاربتها بمثل ماتحارب بهِ واما ان انتشار اسباب الحضارة والتمدن يؤدي الى تأليف مجلس دولي لحل المشاكل الدولية وسماع الشكاوي المتعلقة بالرسوم الباهظة التي تفرضها دولة على واردات دولة اخرى وما شبه ذلك. ولا ريب ان كلاًّ منا يتمنى ذلك ولكني اظن ان الطريقة الاولى تجرب اولاً "

السر ادورد رسل

صاحب جريدة "لفربول دايلي بوست" قال

"من الامور المبشرة بالخير المنذرة بحسن المصير رغبة الدول الاوربية تدريجاً عن محاربة بعضها بعضاً. ولكن الميل الى الحرب خلق مستحكم في النفوس والاغراء بخوض غمارها كثير في اطراف الارض النائية. ومع ان اهوالها تزيد كل يوم رغماً عما أُدخل من التحسين والاصلاح في تموين الجنود ومعالجة جرحاهم ترى الناس يقدمون عليها وهم لا يحسبون لها حساباً. ولكنني أُومل — وان يكن تحقيق املي بعيدًا — ان سوف يأتي يوم في الخمسين سنة القادمة تبطل الحرب فيهِ باجماع الامم المتمدنة على ابطالها لانهُ يثبت لهم انها ضرب من الحمق والجنون"

مسيو جوريس

من اشهر اعضاء مجلس النواب الفرنسوي وزعيم حزب الاشتراكيين فيهِ. خطب ذات يوم فقال

"بين المسائل الدولية مسائل شتى كانت تظهر خيالية فجعلت تلبس ثوب الحقيقة وتتخذ شكلاً محدودًا وقد اصبح السلام الحقيقي ممكناً في اوربا" الى ان قال

"وفي اوربا محالفتان كبيرتان ترميان الى السلام. وقد كان السلام العام مقصد الثورة الفرنسوية وهي لم تكن ترغب في الحرب بل كانت تكرهها وتمقتها وانما اقدمت عليها مكرهة بسبب ضعفها"

* * *

التهذيب(١)

ايها الشبان الكرام

لما دعوتموني الى خطاب يُلقى اليكم في محفل من محافلكم تردّدتُ في اول الامر لكبر سنّي وملّلي وعجزي ولكن لما نظرت الى غاية جمعيتكم المحمودة رأيت فيها ما ينهض الى اجابة طلبكم ولو سامني ذلك شيئاً من التعب والاجهاد. ثم اخذت ابحث في موضوع يوافق غرضكم ويُرجى منهُ بعض الفائدة لكم ولامثالكم الذين شأنكم وشأنهم واحد في السن وطلب العلم فلم ارَ شيئاً افضل وانسب من اللقب الذي لقّبتم جمعيتكم بهِ وهو تهذيب الشبيبة السورية. غير انكم قد اضفتم الى ما تطلبونهُ لانفسكم من ذلك غوثاً لبعض اخوانكم الطلبة واظهرتم ما فيكم من ايثار الغير فوجب لكم الثناء والعون والدعاء بالفلاح. وكيف كان فان فاعل الخير يلقى الجزاء

---

(١) خطبة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع علم الامراض الوافدة في لندن والاكادميا الطبية في نيويورك تليت في محفل لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت في ٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٥

في نفسهِ مدحهُ الناس او لم يمدحوهُ عرفوهُ او لم يعرفوهُ

للحياة من المهد الى اللحد ادوارٌ ولكلٍّ منها صفات خاصة بهِ وقد اختلف العلماءُ في تقسيم هذه الادوار بحسب ما نظروا اليهِ من ظواهر الجسد او العقل او الاخلاق او صروف الدهر التي يتقلَّب الانسان فيها. ولعل الاصح من الوجه العلمي انها ثلاثة ادوار وهي زمن النموّ والنشوء وزمن البلوغ وزمن الهبوط . اما الدور الاول فيتميز بانَّ من العملين القائمين ابدًا في الجسد وهما التحليل والتركيب اي دثور انسجتهِ وتجديد بنائها — الغلبة لقوة التركيب فيحصل من ذلك اكتساب دائم في الحجم والقوة وفي ارتقاء الجسد والعقل . ويكون الطفل عند ولادتهِ في غاية العجز لا يُدرِكُ ولا يعقلُ شيئًا ولكنهُ يأخذ سريعًا في الشعور بما حولهُ وفي استعمال حواسهِ الظاهرة وفي التأمل بما يراهُ . غير ان اعظم ما يتعلمهُ في هذا السنّ هو الكلام الذي يميز الانسان بهِ على سائر الحيوان والذي تنشأ منهُ الصور العقلية والاشتراك بينها والذاكرة والمخيلة والعاقلة . وتكون اعمال العقل اولاً في الطفل ذاتية ثم تصير خاضعة للارادة وهذا الخضوع من اهمّ ما يطرأ على العقل البشري وبقدر ما يستطيع الانسان ان يتولَّى العمل العقلي يستطيع ادراك ما يريد البحث فيهِ ادراكًا جليًّا والتعبير عنهُ بكلام صريح. ولما كان لهذا السن شأن عظيم في التربية والتهذيب وجب احاطة الولد بكل ما يكسبهُ قوة الجسد والعقل وحسن الخلق والادب ووجب ايضًا الانتباه الشديد لمن يعاشرهم ويتعلم منهم الصفات والعادات الحسنة او القبيحة . والنمو في هذا السن سريع الى السنة الخامسة عشرة ثم يبطئ تدريجًا الى ما بعد ذلك ببضع سنين قبل ان يصل الى زمن البلوغ الكامل

والدور الثاني وهو دور البلوغ يمتد في اكثر الناس من السنة الثلاثين الى الخامسة والاربعين ويتساوى فيهِ عمل التحليل والتركيب فيبقى كل هذا السن في ما يكون عليهِ من قوة الجسد والعقل وهو غاية ما يبلغهُ ولذلك يعدّونهُ افضل ادوار الحياة واقدرها على ما يستطيع الانسان ان يأتي بهِ من اعمال الدنيا. غير ان في هذا الامر كغيرهِ شذوذًا كثيرة فقد يسرع او يبطئ سير كلٍّ من هذه الادوار بحسب البنية الموروثة او نوع المعيشة فيعجز الانسان باكرًا او تدوم قوتهُ في زمن الشيخوخة

وفي الدور الاخير وهو دور الشيخوخة والهرم تضعف قوة الجسد والعقل وتعجز عن القيام بما يطلب منها بحيث انهُ قلما يستطيع الرجل شيئًا من الاعمال العظيمة بعد السبعين . وتأخذ قوة التركيب في التناقص فيقل البصر ويثقل السمع ويبلد العقل وتضعف الذاكرة ويأبى الشيخ العمل ويختار ملازمة بيتهِ متوكئًا على عصاهُ . غير انهُ اذا كانت الرياضة الجسدية والعقلية

كافية بلا اجهاد مفرط وكان الطعام جيدًا معتدلاً والنوم حسنًا والهواء المحيط نقيًّا والقلب خاليًا من الهموم الثقيلة دام نشاط العقل والجسد سنين كثيرة وعاش الانسان في شيخوخة صالحة خالية من اشد العلل التي تعتريها غالبًا . وفي كل ذلك موعظة للشبان والكهول ان يعيشوا عيشة راضية قنوعة طاهرة صحية حتى اذا بلغوا الشيخوخة كان لهم فيها شيءٌ من الراحة واللذة

وقد رسم احد المصورين حياة الانسان في خمس صور وهو يحمل في كل واحدة منها حملاً . فالاولى صورة ولد حامل طاقة من الزهر وهو يمرح ويلعب في بستان جميل لا غم لهُ في ما مضى ولا هم في ما يأتي . والثاني صورة الولد شابًا رافعًا حملهُ بيدهِ اليمنى وهو يطلع جبلاً ويفتخر بقوة الشباب لا يعبأُ بما في الحياة من الكد والجد ولسان حالهِ يقول

اذا غامرت في شرفٍ مرومٍ   فلا تقنع بما دون النجومِ

وفي الثالثة صورتهُ كهلاً ولوائح الفكرة على وجههِ في ما يلقاهُ من صروف الدهر وعسر الحياة وهو يحمل حملهُ بلا افتخارٍ ولا ضعفٍ وقد علم بالخبرة صدق فيلسوف الشعراء القائل

تصفو الحياة لجاهلٍ او غافلٍ   عما مضى فيها وما يتوقعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسهُ   ويسومها طلب المحال فتطمعُ

وفي الرابعة صورتهُ شيخًا ضعيفًا يحمل حملهُ ويسير فيهِ خطوات ثم يضعهُ على الارض ويجلس ليستريح هنيهة ثم ينهض للمسير وهو يقول

فياليت الشباب يعود يومًا   فأُخبرهُ بما فعل المشيبُ

والخامسة صورة محزنة صار فيها الشيخ هرمًا منطرحًا على الارض وحملهُ يجذبهُ الى قبر مفتوح ينظر اليهِ ويردد قول الشاعر الروماني الذي قال في هرمهِ : لقد بلغت المرفأَ فاودعكما يا أملي ويا دهري كفى ما لعبتما بي فاذهبا الآن والعبا بغيري . وهو كلام لا يبعد عن المعنى الذي ارادهُ ابو العلاء بقولهِ

فياموت زُرْ انَّ الحياة ذميمة   ويانفس جدّي ان دهرك هازلُ

وقد بلغتم الآن ايها الشبان عنفوان العمر وجزتم الدروس الاولى البسيطة ودخلتم هذه المدرسة الكلية لتتلقوا فيها العلوم العالية ثم الخاصة التي تؤهلكم لمباشرة المهنة التي تختارونها في الحياة . فاذكروا انهُ زمن الزرع وان ما تزرعونهُ في الحاضر تحصدونهُ في المستقبل كثيرًا كان او قليلاً خيرًا او شرًّا . ولا يقتصر هذا الكلام على ما تدرسونهُ من العلم ولكنهُ يشمل عوائد الكد والجهد والاخارق والصفات التي تكتسبونها الآن وستتميزون بها في جل عمركم والتي ستجعل لكم مقامًا ساميًا بين الناس او شأنًا حقيرًا فهو الزمن الذي يتكون فيهِ الخلق

بحيث يكون الانسان بعد ذلك شهماً رفيعاً مكرماً او لئيماً دنيئاً مخذولاً . وهو الزمن الذي تفعل فيهِ فواعل المعاشرة الصالحة والقبيحة التي اشار اليها شكسبير الشائع الصيت بقولهِ يجب على الشريف ان لا يصاحب الَّا الشرفاء اذ لا يقوى على المصاحبة المفسدة مهما كان شديد العزم . وما اوصى بشأنهِ سليمان الحكيم حيث قال يا ابني ان تملقك الخطاة فلا ترضَ لا تسلك في الطريق معهم امنع رجلك عن مسالكهم . وما قالهُ الشاعر العربي

وأَحذَرْ مؤَاخاةَ الدنيّ فانهُ   يعدي كما يعدي السليمَ الأَجربُ

معنى التهذيب في اللغة التنقية والاصلاح فاذا ابتغيتموهُ وجب عليكم ان تنبذوا كل ما فيهِ شرٌّ من السجايا والصفات والاميال وان تربوا في انفسكم كل ما فيهِ خير لكم . ولما كان كلامي لكم الآن في هذا الصدد رأيت اننا ننال الفائدة المطلوبة اذا نظرنا الى المسئلة من ثلاثة وجوه وهي تهذيب الجسد وتهذيب العقل وتهذيب النفس . ولكنني ارى ايضاً انها جميعها مسائل كبيرة لا اقدر ان اوفيها حقها في كل ما يدخل تحتها من الجزئيات وان المقال فيها لا يكون هنا الَّا عامًّا وجيزًا

١ تهذيب الجسد . تقدّم الكلام في هذا الوجه من التهذيب كما قدّم العلماء علم الابدان على علم الاديان والسبب في ذلك ظاهر وهو ما ذكرهُ بعض افاضل العلماء الرومانيين من ان العقل الصحيح في الجسد الصحيح وقد صار هذا القول مثلاً سائرًا من ذلك الزمن القديم الى الآن ولو كان لهُ شذوذ احيانًا . وقد اثبتهُ علم الفيسيولوجيا الحديث بان الدماغ آلة العقل الذي يعمل بها ومن الواضح ان اعمالهُ لا تكون محكمةً الَّا اذا كان الدماغ صحيحًا يغتذي بدمٍ صحيح وهذا لا يكون الَّا اذا كان الجسد صحيحًا . فاذا فسد تركيبهُ ادّى ذلك الى الجنون واختلال القوة العاقلة واذا فسد غذاؤهُ بواسطة السكر او الحمّى او غير ذلك اضطربت اعمال العقل وشوهدت فيها ظواهر الهذيان . وفي هذه العلاقة الشديدة بينهما دليلٌ كافٍ على ان الانسان لا يتمتع بصحة العقل الَّا اذا كان متمتعاً بصحة الجسد . فانظروا اذن الى صحة ابدانكم اذا شئتم ان تكونوا اصحاء العقول

ثم كما ان صحة الجسد تؤَدي الى صحة العقل فهي ايضاً من اعظم الموجبات لسرور الحياة لان العافية اللذيذة قائمة بحسن قيام وظائف الجسد . ولما كانت هذه الحالة مأْلوفة عندنا فاننا نغفل عن قيمتها العظيمة وننساها ولا نعبأُ بما يضرّها من الاسباب التي في يدنا منعها ولا نذكرها الَّا متى سُلِبت منا وصدق فينا قول القائل " العافية تاج على رؤُوس الاصحاء لا يراهُ الَّا المرضى " وقول الشاعر

لا يعرفُ الصحيحُ قيمةً لما   كان من الصحة حتى يُبتلَى

ولا ينال الانسان العافية الاَّ اذا اطاع قواعد الصحة التي كثير منها معلوم لديكم فلا اذكر بعضها الاَّ على سبيل الاشارة فقط وساُطيل الكلام في البعض الاخر. اما الطعام الذي تتجدد منهُ الخلايا المتنوعة التي تبنى منها انسجة الجسد والتي تشارك غيرها من كل حيٍّ في الولادة والعمل والموت فيجب ان تراعوا فيهِ هذه الشروط وهي ان يكون نوعهُ جيدًا يؤكل باشتهاء في اوقات معينة وكميات معتدلة وان يمضغ على مهل حتى لا تحمل المعدة من العمل ما يجب عملهُ في الفم . واكثروا من تطهير افواهكم وانظروا ابدًا الى نظافة اسنانكم وصحتها . وفي النوم راحة للجسد والعقل تسترد الطبيعة فيهِ ما تخسرهُ من القوة مدة اليقظة والعمل . وشروطهُ الصحية ان لا يكون اقل من ثماني ساعات للذين هم في سنكم . ولا يكون العشاء ضخمًا ولا يكون غطاء الفراش ثقيلاً وان يتجدد هواء الغرفة بواسطة شباك او اكثر صيفًا وشتاء خلافًا لمذهب العامة الذين يسدون النوافذ ويكثرون من الغطاء مدة النوم فيحرم النائم ولا يجد هواءً نقيًا لتطهير دمهِ وتشتد عليهِ الاحلام المزعجة . وقالوا خيرُ النوم نوم مَن كان خاليَ البال سليم الضمير . والنظافة فقد سمعتم انها من الايمان وعرفتم ان بعض الاديان لا يجوز الصلاة الاَّ لمن اغتسل وطُهر . فاغسلوا ارجلكم كل صباح كما تغسلون وجوهكم وايديكم واستحموا بالماء بقدر الحاجة والامكان . واعتنوا باظافيركم ولتكن اثوابكم ابدًا نظيفة . الم تروا بعد غسل جميع الجسد ولبس الثياب النظيفة لذةً خاصةً تملأُ النفس بهجةً وتؤهلكم لمعاشرة العظام في الهيئة الاجتماعية خلافًا لما اذا كان فيكم شيءٌ من القذر الذي يخجلكم ويحقركم بين الناس . وقد نظم جلال الدين الرومي العجمي ابياتًا في هذا الصدد على غاية ما يكون من الحسن اشار بها الى قلب طاهر في جسد طاهر فقال ما معناهُ احفظ نفسك طاهرًا في ثوبك وفمك ويدك وفي ما تأكلهُ وتشربهُ . واعلم يا ابني ان في طهارة الظاهر وسمًا لطهارة الباطن

بقي لي ان اذكر لكم في هذا الباب شيئين لهما علاقة شديدة بحفظ الصحة . احدهما التعرض للهواء المطلق ونور الشمس . وقد ثبت الآن عند الاطباء بالاجماع انهُ اذا كان الهواء نقيًا فهو المطهر العظيم للدم والدم يقضي وظيفتين هما دعامة الحياة . الاولى انهُ يحمل في الشرايين ما دخلهُ من الطعام بعد هضمهِ حتى اذا بلغ الاوعية الشعرية اختارت خلايا الانسجة قوتها منهُ بحسب نوعها . والثانية انهُ يحمل في الاوردة ما يتحلل ويفسد من تلك الخلايا فاذا عاد الى القلب اندفع منهُ الى الرئتين ليلاقي الهواء الداخل اليهما بواسطة التنفس فيعطي الهواء ما حملهُ

من المواد الفاسدة ويأخذ منهُ جوهرًا مطهرًا سماهُ قدماء الاطباء بالروح الحيواني وهو الاكسجين عند الحديثين . وبناء على ذلك فكلما كان الهواء نقيًّا كان اصلح وافعل في تنقية الدم وقد اهتدى اطباء هذا العصر في مداواة المصابين بالحميات والسل والامراض المزمنة الى تعريضهم للنور والهواء المطلق في المستشفيات او في مساكن مبنية على اسلوب خاص لمقابلة الهواء والنور بعيدة عن هواء المدن الفاسدة وسموها مساكن الصحة او مصاح (Sanatoria) وهم يفضلون هذه الطريقة على غيرها ويعولون عليها وبعضهم يرتاب في فائدة العلاج بالعقاقير . وقد شاهدت بعض الذين برئوا بواسطتها من امراض لم يكن يرجى لها الشفاء . اما النور وحدهُ فلا بد انكم قد سمعتم انهم الآن يعالجون ببعض اشعتهِ امراض الجلد المستعصية ففازوا بذلك فوزًا لم يعهد مثلهُ في ما مضى . فادخلوهما الى غرفكم واخرجوا اليهما وطالعوا كتبكم ما امكن بين الاشجار وفي الفلاة الواسعة

والامر الثاني الذي لهُ شأن عظيم في ما نحن فيهِ الرياضة . قال الشيخ الرئيس ابن سينا فيها انها حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر وتدفع فضلات الجسد وتنعش الحرارة الغريزية وتصلّب المفاصل والاوتار وتعدّ الاعضاء لقبول الغذاء واذا كانت معتدلة كان بها غِنًى عن كل علاج في بعض الامراض الى ان قال وكثيرًا ما يقع تارك الرياضة في الدقّ لان الاعضاء تضعف قواها لتركها الحركة الجالبة اليها الروح الغريزية (أكسجين الهواء) التي هي آلة حياة كل عضو . وقسمها الى ما هو عنيف ولطيف ومعتدل وشرح ما كان في زمانهِ (سنة ٣٨٠ هجرية) من انواعها وهي المنازعة والمباطشة والملاكزة والاحضار وسرعة المشي والرمي من القوس والزفن والقفز والحجل والمثاقفة بالسيف والرمح وركوب الخيل والاراجيح واللعب بالكرة والصولجان والطبطاب والمصارعة الى غير ذلك من انواع اخر وما لها من الفوائد لكل عضوٍ من اعضاء الجسد كالتبصر الدقيق للعين واجهاد الصوت للحلق والنهي عن بعضها في بعض العلل . وقد أُهمل كثير منها في هذه الايام وبُدلت بغيرها من الالعاب الحديثة التي انتم اعلمُ مني بها . غير انهُ مهما حدث من التغيير في نوع الرياضة وكيفما انفردت الامم في ما اصطلحوا عليهِ فلا خلاف في وجوبها بل هي قد صارت قسمًا لازمًا في التربية المدرسية من زمن الصبوة الى زمن الشباب ومن اصغر المدارس الى اعلاها . واقتبسوا من اللغة اليونانية كلمتين للتمييز بين المعتدل منها والعنيف الاولى الجمنستيك ومعناها التعرّي لانهم كانوا يتصارعون وهم عراة الابدان وتسمَّى بها المدارس المتوسطة عند الجرمانيين (Gymnasia) اشارةً لما في درس العلوم من التمرين والتهذيب . والثانية الأثلتيك ومعناها المصارعة والمجاهدة ويريدون

بها انواع الرياضة التي يباشرها الشبان لبلوغ منتهى القوة العضلية منها . واضاف بعضهم كلمة ثالثةمأخوذة عن اليونانية ايضاً هي الكلستنيك ومعناها الظرف والجمال لسبب ما تؤدّي اليهِ من ذلك واكثر استعمالها في مدارس البنات

ولا تُباشَر الرياضة عادةً الّا في الخارج فيكون فيها اذاً فائدتان التروُّض والتعرُّض للهواء المُطلق ولنور الشمس . واذا شئتم ان تروا ما لذلك من النفع للقوى الجسدية فانظروا الى شدّة ابدان الفلاحين والمكارين وغيرهم من الذين يقضون اكثر زمانهم في الحقول والفلوات ويعيشون في ما بقي عيشةً حقيرة في المسكن والطعام والنظافة الى غير ذلك من شروط الصحة . ثم قابلوا ما ترونهُ فيهم من القوة وصحة اللون بما ترونهُ من الضعف وصفرة الوجه في اهل المدن الذين يعيشون عيشة الرفاهة في الازقة المزدحمة والمنازل المزخرفة التي كثيرًا ما لا يدخلها كفاية من نور الشمس والهواء النقي . او انظروا الى عرب البادية وهم غير العرب الذين يجاورون المدن فقد قال فيهم احد كبار العلماء انهم اصحّ اهل الارض بنية وهم في الخلاء ابدًا ليلاً نهارًا مطبوعون على محبة الشجاعة والمروءة وعزّة النفس وركوب الخيل وكأن قد اجتمع في ابي الطيّب وهو واحد منهم اكثر من ذلك فانشد يقول

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

وكان للرياضة والقوة العضلية عند قدماء اليونانيين والرومانيين شانٌ عظيم فبلغوا فيها منتهى الامكان وانشأوا منذ سنة١٤٥٣ ق٠م جهاداً يعقد عند جبل اولمبس مرة كل خمس سنين ويدوم خمسة ايام في مشهد عظيم ولم تبح المسابقة فيهِ الاّ لمن قضى عشرة اشهر في مدرسة ايليس التي اشتهرت في ذلك الزمان بفن التمرين الجسدي . وكان اخص مباراتهم في الركض والوثب والمصارعة والملاكمة ورمي الكرة ترون بعضها مصورًا على طوابع البريد التي اصدرتها الحكومة اليونانية سنة ١٨٩٦ ذكرًا لاعادتها الى بلادهم في تلك السنة . فكان الجزاء للغالب عند اليونانيين اكليلاً من ورق الزيتون فقط اكتفاء بما في الغلبة من الفخر ثم اذا رجع الى بلدهِ لاقاهُ الشعراء والمنشدون رجالاً ونساء وادخلوهُ بالتهليل من ثغر فتحوهُ في السور تكريماً لما نالهُ من مجد الظفر . ولكنهم غالوا وجاوزوا الحد لما اقاموا في مراسحهم الكفاح بالسيف حتى اذا سقط المغلوب على الارض كان للغالب ان يقتلهُ اولا بحسب ما اراد جمهور المشهد فان كانوا قد رأَوا فيهِ علامات القوة والشجاعة رفعوا اباهمهم اشارة الى تركهِ وشأنهِ وان رأَوا فيهِ الضعف والجبن خفضوها فكانت القاضية عليهِ بالقتل ثم يجرونهُ من المرسح كالكلب الميت والناس يصفقون طربًا . ودامت هذه العادة الوحشية الى القرن السادس

للتاريخ المسيحي ففي يوم من تلك الايام المشهودة والجريح مطروح على الارض والغالب شاخص ببصرهِ الى الناس ليرى هل يريدون قتلهُ او تخلية سبيلهِ وثب راهب من خدمة الدين الى حفرة المتصارعين ورفع يدهُ نحو السماء ناشداً القوم بالله ان لا يرتكبوا جريمة القتل . وكانوا حينئذٍ في حالة الهياج الشديد فرجموهُ بالحجارة الى ان مات شهيداً. ولما وصل الخبر الى ثيودرك امبراطور الرومانيين في ذلك الحين تحركت فيهِ عواعف الرأفة وامر بابطال تلك العادة القبيحة فكان موت الراهب الشهم الجسور موتاً لها . ومن ذلك الزمان الى الآن لم يبق لها اثر الا مقاتلة الرجال للثيران في اسبانيا وهي مكروهة مذمومة عند غيرهم من الامم الاوربية لما فيها من القساوة والعذاب للحيوان والانسان فلا بد من زوالها في عهد قريب

وقد تبيَّن لكم ايها الشبان مما تقدَّم ما يمكنكم اجتناؤُهُ من الفائدة العظيمة مدة الشباب من ترويض الجسد وتصليب اعضائهِ من حيث القوة في العمل واللذة في العافية ونشاط العقل في مهامّ الحياة. وقد كان الكلام في ما سبق من الوجه الايجابي واطلت البحث فيهِ وبقي الآن ان اقول شيئاً وجيزاً من الوجه السلبي . وحاصلهُ ان ابعدوا عن كل ما يوجب الضعف وعن كل عادة من العادات السرّية او الظاهرة التي تنهك قواكم وتذهب بمروءتكم وألقوا عن انفسكم كل نوع من الكسل والتواني في دروسكم واعمالكم . واجتنبوا التدخين فان الافراط فيهِ يضعف القابلية للطعام وهضمهُ ويفسد رائحة الفم ويفعل فعلاً ذريعاً في المجموع العصبي ويعارض النموّ الذي انتم لا تزالون في دورهِ فهو محرَّم عليكم في هذا السن. واحذروا كل نوع من المشروبات الروحية فانها كيفما كانت لغيركم فهي سمٌّ لكم . ولا تقربوا شيئاً من المقامرة التي تتلف الزمان وتفسد الاخلاق وتهيج المطامع وتذهب بخلوّ البال وراحة النوم ولذة العافية وتؤدي الى خسارة المال وخراب البيوت آجلاً او عاجلاً . وقد درس بعضكم وسمع البعض الاخر بالجراثيم المرضية المنتشرة في الهواء والماء والطعام او التي يحملها البعوض والذباب فاعلموا ان الطبيعة قد هيأَت في الدم خلايا خاصة لمقاتلة المكروب على انواعهِ واهلاكهِ بحيث اذا دخل الدم لاقتهُ تلك الخلايا وابتلعتهُ فان كانت اقوى منهُ قتلتهُ ولاشتهُ ولكن اذا كان هذا الجيش المدافع ضعيفاً مما تعملون من الاسباب المضعفة لهُ قوي عليهِ المكروب الغازي وقتلهُ واهلكهُ واستفحل في الجسد وفتك بالصحة او الحياة . وعلى ذلك فكل ما يأول الى حسن الصحة فهو ناصرٌ لما في الجسم من قوة الدفاع وكل ما يوهن تلك القوة فهو حليف العدوّ والعاضد لهُ في البطش ولا يحلُّ للانسان ان يُلقي بيدهِ الى التهلكة

سيأتي البقية

الخطر الابيض والخطر الاصفر

يرى بعض كتّاب الافرنج ان روسيا جنت على الجنس الابيض ما لم يجنهِ رجل ابيض على اخيهِ من قبل . فانها اقدمت على محاربة اليابان ولم تستعد لذلك كبرًا واستهانة حاسبة انها في اضعفها تفوق اليابان في اشدها وانها ستعقد الصلح مع اليابانيين في طوكيو عاصمتهم بعد اذلالهم ولا يلزم لذلك من الزمان اكثر مما قدر الانكليز لشرب الشاي في عاصمة الترنسفال ولكن الرياح جرت بما لا تشتهيهِ سفنها وعادت من المعمعان وقد فقدت كل شيء سوى شرف جنديتها واظهرت للصفر ضعف البيض في نزالهم واشعرتهم بقوتهم المستكنة فيهم · وبناءً على ذلك سيهبون من سباتهم العميق ويأخذون بالثار من البيض لقاء استخفافهم بهم واعتدائهم على املاكهم هذا الزمان الطويل . وهنا مصدر الخطر الاصفر

ولكن فئة اخرى من الكتاب ترى غير ذلك . ترى ان نتيجة الحرب الحاضرة كفُّ يد الابيض عن الاصفر ليس الاَّ اعتقادًا بان الميل الى السكون والمسالمة خلق من اخلاق الرجل الاصفر الجوهرية وطبع فيهِ يغلب كل تطبع · ومنهم المستر لنتش الرحالة كاتب هذه المقالة فانهُ نشرها في مجلة القرن التاسع عشر بعنوان "الخطر الابيض" وابان فيها انهُ ان وجد هناك خطر فهو الخطر الابيض اي خطر ابتلاع الرجل الابيض للاصفر وقد زال بالحرب الحاضرة . اما الخطر الاصفر فوهم من الاوهام او حلم في المنام . قال

تعدُّ حرب روسيا واليابان فاتحة عصر جديد في تاريخ علاقتنا بالشرق ويرجح ان تكون نقطة انقلاب في مجرى الحوادث المستقبلة · هل خطر على بالنا نحن الغربيين الذين كثر تحدثنا بالخطر الاصفر ان نقابل بعين الشرقي بين الماضي والحاضر لنرى ماذا يقولهُ المشارقة عنا · فلا بد ان يكون قد رأى الخطر الابيض على ازدياد سنة فسنة منذ ابتداء علاقتنا بالشرق حتى الآن حين اشتد ساعد اليابان ونهضت تروم ايقافنا عند حدنا . وكل من خبر الشرق ولو قليلاً لا يعسر عليهِ تصور ما يظنهُ الصينيُّ واليابانيُّ فينا وما يشعران بهِ من نحونا . واذا تذكرنا تاريخ الماضي ونظرنا اليهِ بعين خالية من الغرض لم يدهشنا سلوكهما لانهُ نتيجة لازمة لا بد منها

قال المسيو اناطول فرانس "ان ما يؤديهِ الروس الآن في بحار اليابان وسهول منشوريا انما هو ثمر سياسة الشره والقسوة التي اتبعوها في الشرق وثمر السياسة الاستعمارية التي جرت

اوربا كلها عليها ايضاً . وما يكفرون بذلك عن ذنوبهم وحدهم بل عن ذنوب العالم المسيحي كلهِ في خطتهِ الحربية والتجارية "

اما الخطر الاصفر الذي بات اشهر من ان يذكر بعد ما قال الكتّاب فيهِ ما قالوا وبعد الصورة التي صوّرها بهِ امبراطور الالمان — فانما هو رجم بالغيب او وهم من الاوهام . غير ان الخطر الابيض ليس في شيء من ذلك بل هو حقيقة قُدَّت من جسم قارة اسيا وصبغت بدم الرجل الاصفر . فانهُ لما دخل الروّاد والتجار الاولون بلاد الصين واليابان استقبلهم اهلوهما على الرحب والسعة ورغبوا في معاملتهم بشرط ان يخضعوا لقوانين البلاد ولا يتعرضوا للشؤُون الاجتماعية والسياسية . وبعد سقوط دولة منغ الصينية في القرن الخامس عشر أُقفلت ابواب الشرق الاقصى في وجه كل اجنبي حتى القرن السادس عشر حين جعل السياح من اسبانيا والبرتوغال يرتادون الصين قصد الاكتشاف فكان الاهالي يرحبون بهم وسمح امبراطور الصين حينئذٍ لبعضهم بالاقامة في ثغر كنتون للاتجار ولكنهم طغوا وتجبروا وساء سلوكهم حتى اضطرَّت الحكومة ان تبعد احدهم من كنتون واسمهُ سيمون اندرادا قصاصاً على ما ارتكب من الذنوب فسافر شمالاً ونزل في اموي وننبو وتبعهُ غيرهُ اليها فعاثوا في البلاد سلبًا ونهبًا واغتصابًا فثار الصينيون عليهم وذبحوا مئات منهم واحرقوا عدداً كبيرًا من سفنهم واصدر الامبراطور امرًا بقطع كلّ علاقة معهم

وبعد ذلك أنفذت الامبراطورة كاترينا الاولى الروسية الكونت فلادسلافتش في مهمة الى بكين فاكرم امبراطور الصين وفادتهُ وعقد معهُ معاهدة تجارية ولكن الاهالي لم يشاؤُوا معاملة الاجانب فابلغوا الروس انهم يكرهون التجارة الاجنبية لان بلادهم تخرج لهم كلّ ما يحتاجون اليهِ من حاجي وكمالي وانهم قانعون بما هم عليهِ لا يطلبون المزيد ولكن الروس ظنوا ان لهم حقًا في المتاجرة بينهم رضوا بذلك او لم يرضوا وحذا سائر الاوربيين حذوهم فيما بعد

ولتجلي للقارىء الحقيقة في هذا الشأن لنسمع ما قالهُ صينيٌّ عن سبب قطع العلائق بين بلادهِ والغرب لاول مرة مخاطبًا بهِ الاوربيين . قال

" لما جاء قومكم الاولون الى الصين لم يكن مجيئهم بدعوة منا فسمحنا لهم بالاقامة بيننا ولو لم نحتفِ بهم . وكنا نعاملهم ونتاجر معهم ما داموا خاضعين لقوانيننا . واول خلاف بيننا وبينهم وقع على مسألة لم تجرأُوا انتم انفسكم على المدافعة عنها اعني بها سلوككم فان قسمًا كبيرًا من تجارتكم كان بالافيون وكنا قد رأينا ان شرب هذا العقار متلف لاجسام الاهالي مفسد لآدابهم فحظرنا الاتجار بهِ . ولكنَّ تجاركم خرقوا القانون وجعلوا يهرّبون الافيون حتى

اضطررنا ان نداوي العلَّة بانفسنا فضبطنا كلَّ ما وجدنا منهُ واتلفناه . فعدَّت حكومتكم عملنا هذا ذنبًا وتحملت منهُ لها عذرًا لان تشهر الحرب علينا . فغزوتم ارضنا وفرضتم علينا غرامة واخذتم منا جزيرة هنغ كنغ فرضخنا مكرهين لاننا لم نكن دولة حربية . ولكن هل تظنون اننا لم نتألم ونستفظع الامر أو هل تظنون لما قامت كلُّ دولة من دول اوربا ووضعت يدها على قطعة من ارضنا اننا لا نشعر لاننا لم نقاوم . ايراكم الصينيُّ الذي يراجع تاريخ اتصالكم بنا في الستين سنة الماضية خيرًا من زمرة لصوص او جماعة قرصان . ومَنْ مِنَّا نحن الفريقين تراه الفريق المعتدي أنحن الذين كنا عاقدين النية على الاحتفاظ بهيئتنا الاجتماعية وعاداتنا وشرائعنا ونظام حكومتنا وصونها من شوائب التمدن الاجنبي ام انتم الذين حملكم حبُّ الكسب التجاري على دخول بلادنا وادخال خميرة تمدنكم وآرائكم اليها مع بضاعتكم . واذا كنا قد اسأنا اليكم في نزاعنا معكم بعد ذلك فانَّ لنا عذرًا وهو محافظتنا على انفسنا . واغلاطنا — إن صحَّ أن تسمَّى اغلاطًا — انما هي حوادث مبنية على حقٍّ ثابت الدعائم ولكنَّ اغلاطكم هي اعمالكم نفسها

تأملوا القيود التي قيدتم بها مملكة عريقة المجد اعتقدت قرونًا طوالاً انها في مقدمة الممالك حضارة ومدنية . فلقد اكرهتمونا على فتح موانينا وثغورنا في وجه تجارتكم والسماح بادخال عقار مهلك لشعبنا واخرجتم رعاياكم المقيمين بيننا من تحت سلطة قوانيننا وتملكتم تجارة سواحلنا والآن تدَّعون تجارة انهرنا . وكلما حاولنا مقاومة مطالبكم اضفتم اليها مطالب جديدة وزدتم اعتداء وخيلاء . ومع ذلك كلهِ تدعون انكم امم متمدنة ساقها النكد وسوء الطالع الى معاملة امم همجية "

اما الحوادث التي جرت في الصين في خلال الخمسين سنة الماضية فتشبه معاقبة الصينيين لقاتل ابيهِ بقطع قطَع من بدنهِ . فاننا بدأنا تنفيذ الحكم بقطع هنغ كنغ وتلتنا فرنسا فاقتطعت الهند الصينية بلا اقل عذر . ثم روسيا فاقتطعت بورت ارثر ومنشوريا ثم المانيا فاقتطعت كياوشاو . وفي اوربا كثيرون يرون ان ذلك خير ما ينال الصين وانهُ لابد من تصيير اهلها غربيين في تمدنهم ونوع اجتماعهم رضوا بذلك او لم يرضوا . على ان الذي يجوب الصين ويقابل بين معيشة الاهالي الذين عاشروا الاوربيين وخالطوهم ومعيشة الاهالي الذين في داخلية البلاد يشك في ما اذا كان الاولون احسن حالاً من الآخرين . نعم ان وسائل الرفاه المادية زادت زيادة قليلة ولكن بعد ان دفع ثمن غالٍ بها . فان بعض نتائج مدنيتنا النزاع والمزاحمة والتعب وبعض نتائج المدنية الشرقية السلام والقناعة والراحة وليست هذه الراحة في شيء من كسل الهمج والمتوحشين بل هي جزاء كدٍّ وكدح لا مثيل لهما . ولا غنى

للذي يروم الوقوف على حقيقة ما هي البلاد وما هم اهلها عليهِ من السياحة فيها

وقياس المدنية الغربية عند الصيني ما يراهُ منها في شنغاي وتيان تسن وهنغ كنغ وغيرها من الثغور المفتوحة لتجارة الاوربيين فهناك يرى الابنية الباذخة والشوارع الواسعة والجواري المنشآت كالاعلام والنظافة الخارجية التي اساسها الماء والصابون. هذا كلُّ ما يراهُ من الحسنات ثم ينتقل منها الى حانات المسكر واماكن الفسق والخلاعة فتحجب مساوئها وشرورها محاسن الاولى في اعين قوم لولا الافيون الذي اكرهناهم على اعتيادهِ لكانوا من اهل الصحو والاعتدال. فان شوارع المدن المذكورة وغيرها ملأَى من حانات يجرع قاصدوها المسكر على نغمات بيانو تلعب عليهِ عاهرة من العواهر حتى يخيل للصيني الذي يشاهد ذلك ان السكر والدعارة اعظم مايتسلى بهِ الاوربي. ولا يسع شعباً هو ارق شعوب الارض جانباً واوفرها ادباً واكثرها تجملاً ولطفاً الاَّ ان يقابل اخلاقهُ هذه بصلف الاوربيين الذين يعاشرهم وخشونة طباعهم وشدة خيلائهم. ثم انهُ لايدرك معنى سعيهم في اخراجهِ عن مذهب كنفوشيوس و بوذا ونقائصهم ورذائلهم اكثر جلاءً من الصبح لذي عينين. وهو يعد طغمات المرسلين والمبشرين خطراً عليهِ وعلى بلادهِ وحقهُ ان يعدهم كذلك لان المبشرين بانجيل السلام لم يكونوا في غالب الاحيان سوى ممهدين للقلاقل واغتصاب البلاد من اهلها

اما اليابان فلم يكن اهلوها اقل من الصينيين اكراماً لضيوفهم من رواد وتجار فانهم اكرموا وفادة المبشرين بينهم من عهد القديس فرنسيس زفير في اواسط القرن السادس عشر ولم يغيروا معاملتهم لهم حتى جعل المرسلون يتعرضون للسياسة او حتى اشتبه الاهالي في تعرضهم لها

وفي سنة ١٨٥٣ نزل الكومودور بري الاميركي الى يوكوهاما قصد الاتفاق مع اليابانيين على فتح بعض ثغورهم للتجارة الاجنبية. فانقسم ولاة الامر منهم الى قسمين قسم يرئسهُ البرنس ميتو وكان من رأيهِ رفض ماطلبهُ الكومودور بري قائلاً انهُ لما كانت التجارة غرضهُ وغرض قومهِ فسوف يخربون البلاد تدريجاً ويعاملوننا كيف شاؤُوا وربما انتهت الحال بابتلاعهم اليابان. فاذا لم نطردهم الآن فلن تسنح لنا فرصة اخرى لطردهم في مستقبل الزمان. واما القسم الآخر فكان زعيمهُ الشوغن فقالوا ان اليابان لاتقوى على مقاومة الغريب وان افضل خطة تجري عليها عقد المعاهدات باحسن مايمكنها من الشروط حتى يأتي يوم تقتني فيهِ سلاح الغربيين وتحسن استعمالهُ. وعلموا ان الحق لاينفع مالم تظاهرهُ القوة. فرجح قولهم وعقدت معاهدة بين الشوغن والكومودور بري سنة ١٨٥٤ واخرى سنة ١٨٥٧. وفي السنة التالية عقدت معاهدة بين انكلترا واليابان اشترطت اليابان فيها على انكلترا ان لاتدخل افيوناً الى

بلادها . وتلت انكلترا غيرها من الدول الاوربية

واول قتال بين اليابانيين والغربيين جرى سنة ١٨٦٣ حين أُسكتت مدافع اليابانيين وأُغرقت ثلاث من سفنهم وكانت نتيجة تلك المعركة اقناع اليابانيين باقتباس سلاح خصومهم واقتباس التمدن الذي يقتني ذلك السلاح . وهنا كل الفرق بين هذين الشعبين الصيني والياباني فان الاول اتخذ السياسة سلاحًا لهُ على ضعفها واما الثاني فانهُ ادرك السبيل الوحيد الى حفظ استقلالهِ وهو السلاح الماضي ورأى في اخضاع انكلترا للهند واستيلائها عليها عظة وعبرةً لاتبرحان عن بالهِ . ولم يفعل اليابانيون ما فعلوا اعجابًا بمدنيتنا او علومنا او فنوننا او عاداتنا او مذاهبنا او آدابنا بل دفاعًا عن انفسهم من الخطر الابيض . وليس في تاريخ العالم ما يماثل شدة اندفاعهم وقوة ثباتهم في قضاء مآربهم وتنفيذ الخطة التي رسموها لانفسهم . ومن دلائل فطنتهم وامتلاكهم لاهوائهم انهم احجموا عن مقابلة قوة الغرب بالقوة حتى اتموا استعدادهم لذلك . فانهم لما شهروا الحرب على الصين علموا أن في طوقهم اذلالها على اهون سبيل ولما أُمروا باخلاء بورت آرثر خيف ان يتمرد الجيش ولا يصدع بالامر ولكن المارشال اوياما بذل كل مالهُ من النفوذ الشخصي حتى تمكن من حمل الجيش على اطاعة الامر واخلاء القلعة

وفي سنة ١٨٧٣ كانت الحرب بين روسيا واليابان على قاب قوسين او ادنى بسبب كوريا فان الوفد الياباني عاد من اوربا مدهوشًا بما كانت الدول وخصوصًا روسيا تبذلهُ من الاستعداد الحربي فكتب تشيمتشي تقريرًا قال فيهِ ان روسيا بتوسيع املاكها جنوبًا باتت الخطر الاعظم على اليابان وعليهِ فان الغاية الاولى التي يجب ان ترمي سياسة اليابان اليها انما هي صدُّ روسيا عن التقدُّم في كوريا . ورأى كثيرون من رجال الحكومة اليابانية حينئذٍ ان خير السبل الى بلوغ ذلك المرمى ان تشهر الحرب على روسيا حالاً ووضعت الخطط لغزو كوريا واحتلالها ولكنَّ الاكثرية رأَت انهُ لم يئن الاوان لذلك وفازت برأْيها قائلة انهُ اذا تأَنت اليابان نالت ما تتمنى من روسيا . ومن ذلك العهد وضع كلُّ يابانيّ نصب عينيهِ محاربة الروس عاجلاً او آجلاً . وكانت حرب الصين تجربة أَسفرت عن نتيجة مرضية لليابانيين وهي معرفتهم انهم اصبحوا اهلاً لتقلُّد سلاح الغربيين واستعمالهِ ولكن ختامها وقع وقع الصاعقة في قلب الامة كلها لانخذالها في ميدان السياسة وحرمانها من بورت آرثر ثمرة انتصارها ظلمًا وعدوانًا بمكيدة دبَّرها بعض الدول الاوربية فزادت خوفًا على خوف من الخطر الابيض وباتت تحسب لهُ الف حساب

هذا وقد كان اشتراك اليابانيين في الحملة الاوربية المختلطة التي وجِّهت على الصينيين

سنة ١٩٠٠ كافياً ليرينا ما بلغتهُ الجيوش اليابانية من الدربة في ضروب القتال. وقد كنت في اليابان قبل اعلان الحرب الحاضرة بسنة فرأيت هناك دلائل كثيرة على ان الامة كانت تستعدُّ لهذه الحرب الهائلة وانها تتوقع اعلانها في القريب العاجل. ثم غادرت البلاد وانا موقن ان الحرب واقعة لا محالة وانهُ لا تمضي شهور كثيرة حتى يستطير شرارها ويثور غبارها. ولكني عدت فغيَّرت رأيي وانا عائد الى بلادي بطريق سيبيريا وروسيا لما رأيت الروس على تعدد طبقاتهم مجمعين على القول ان لا حرب وان اللعبة التي يلعبونها في الشرق الاقصى مجرَّد تهويل او ما يسميهِ لاعبو البوكر "بلَفّ" فلعبوا لعبتهم ولكنهم تمادوا في تهويلهم الى حدّ ان لم تجز حيلتهم على خصومهم فسقط في ايديهم وعادوا من لعبتهم بخفي حنين

ولما اطلق اليابانيون مدافعهم الاولى في هذه الحرب على السفينتين فارياق وكورتز الروسيتين في ميناء شملبو كان لاطلاقها معنى غير اعلان الحرب على روسيا وهو ان الشرقيين قاموا يناهضون الغربيين بعد طول الاستعداد لمنع اعتدائهم عليهم وانهم كالوا للكومودور بري الاميركي بالكيل الذي كال لهم وعقدوا النية على صدّ الخطر الابيض بالقوَّة. وقد دلَّت حوادث السنة الماضية على ان اليابانيين لم يقدروا قوتهم فوق قدرها. ومهما يكن هناك من الريب في نتيجة المعركة البحرية عند كتابة هذه السطور لا سيما بعد ما ابداهُ الاميرال روجستفنسكي الروسي من المهارة في ايصال اساطيلهِ الى مياه الشرق الاقصى فلا يكاد احد يرتاب في نتيجة الحرب الاخيرة. فاذا اصرَّ الروس على مداومة الحرب فلا بدَّ ان يصيب ڤلادڤستوك ما أصاب بورت آرثر وينالهم في خربين ما نالهم في مكدن

ومما لا يكاد يشكُّ فيهِ ايضاً ان من شروط الصلح اخلاء روسيا لمنشوريا وردّ جزيرة سغالين الى اليابان. وقد اخذت نتائج هذه الحرب تبدو على الصين من كلّ جانب وزادت الحركة الآئلة الى سير الصين في خطة اليابان. وقصد اليابان في السنة الماضية عدد عظيم من التلامذة الصينيين لم يسبق لهُ مثيل ففي توكيو وحدها اربعة آلاف تلميذ على حين ان عدد التلامذة الصينيين في انكلترا لا يزيد على ٨٠ تلميذاً مع عظم التجارة التي بين انكلترا والصين. وفي الصين عدد كبير من الضباط اليابانيين يعلمون الجيش الصيني ويدربونهُ ويديرون ترسانات الحكومة. فتأثير هؤلاء والتلامذة الصينيين عند رجوعهم الى بلادهم في جمهور الامة الصينية لا بدَّ ان يكون عظيماً. ومع ان نار الحرب مستعرة بين روسيا واليابان فقد زادت حركة التجارة ما بين الصين واليابان زيادة تذكر مما ينبئ بعظم اتساعها بعد الحرب. ويؤمل اليابانيون ان ينالوا امتيازات من الصين بالتعدين ومدّ سكك الحديد في بلاد فوكيان

قياضًا بردّ منشوريا اليها . وبلاد فوكيان هذه هي البلاد المواجهة لجزيرة فرموزه على ساحل الصين الشرقي وهي ضمن دائرة نفوذهم

على ان من نتائج الحرب التي لا بدّ منها تمكين ربط الوداد بين تينك السلطنتين الاسيويتين وتقريب الواحدة منهما الى الاخرى . وحالما يشتدّ ساعد الصين وتصبح من الدول التي يعتدّ بمحالفتها لا يبعد ان نرى بينها وبين اليابان محالفة هجومية دفاعية . وظاهر للعيان انهُ قد آن الاوان لان تردّ الدول يدها عن الشرق الاقصى ولا تمدها فيما بعد لامتلاك بقاع منهُ . ولا يبعد ان تفضي الحال الى اكثر من ذلك عاجلاً او آجلاً فيصلنا انذار بان نخلي واي هاي واي بعد طرد الروس من بورت آرثر وتنذر المانيا باخلاء كياوشاو ولعمري ماذا يفعل الالمانيون لو جاءهم هذا الانذار وما هي القوة التي يقاومون اليابان بها . وقس علينا وعلى المانيا فرنسا

فيظهر من ذلك ان الخطر الابيض في شرق اسيا صائر الى الزوال ان لم يكن قد زال وان قاعدة منرو(١) التي يجري الاميركيون عليها من جهة اميركا مطبوعة في صدور مئات الالوف من الاسيويين من جهة اسيا ونافذة فعلاً ولو لم يصرح بها قولاً . وسيرى كثيرون في ذلك تحقيقًا لاعظم مخاوفهم من الخطر الاصفر . قال المسيو اناطول فرانس "وسنرى عن قريب خطرًا يتهددنا . فاذا وُجد فمن أوجدهُ . فليس اليابانيون هم الذين جاءوا يفتشون عن الروس ولا الصفر هم الذين يفتشون عن البيض . وان كنا قد درينا بالخطر الاصفر الآن فان الاسيويين دروا بالخطر الابيض منذ زمن طويل . ألم يكن دك القصر الصيني الى الارض ومذابح بكين وتقطيع اوصال الصين اسباب قلق واضطراب للصينيين . ام كان اليابانيون آمنين على انفسهم ومدافع بورت آرثر مصوبة اليهم . فقد ولدنا نحن الخطر الابيض وهو ولد الخطر الاصفر"

وكما ان الخطر الابيض ولد الخطر الاصفر فكذلك موت الاول يجلب موت الثاني . فان من يلم بتاريخ الصينيين ويعلم حق العلم ما طبعوا عليهِ من المسالمة وكره المخاصمة يضحك استهزاء بمن يقول انهم يغيرون ذلك الخلق فيهم وينقلبون من تلك السجية الى ضدها فيصيرون محاربين بعد ان كانوا مسالمين لان ذلك يستلزم تغييرًا جوهريًا في طبع الامة كلها والصينيون لا يقبلون تغييرًا . انتهى

---

(١) احد رؤساء الولايات المتحدة الاميركية وقاعدته اميركا للاميركيين

التحوُّل الفجائي

MUTATION

لا يخفى ان انواع الحيوان والنبات كثيرة مختلفة بعضها عن بعض يسهل تمييزها لما بينها من الفوارق او المميزات فالانسان غير الفرس والفارة غير الهرة والتفاح غير البرتقال والفول غير القطن . وكذلك اصناف النوع الواحد مختلفة اختلافًا كبيرًا فتجد بين اصناف الكلاب فروقًا تكاد تجعلها انواعًا مختلفة منها ما هو كالحمار في جرمهِ ومنها ما تضعهُ في جيبك لصغرهِ . منها ما هو صغير البدن كبير الراس مستديرهُ ومنها ما هو كبير البدن صغير الراس مستطيلهُ . ومنها ما شعرهُ طويل اجعد متدلٍّ كأنهُ شعر النساء المرجَّل ومنها ما لا شعر لهُ بل هو بادي البشرة كأن جسمهُ جسم الانسان . وتكثر هذه الاصناف في الفاكهة والخضر والبقول والازهار كالليمون والعنب والتفاح والطماطم والفلفل (الفليفلة) والورد . فاصناف الليمون كثيرة مختلفة شكلاً ولونًا وطعماً حتى يتعذر حسبانها كلها من نوع واحد وكذلك اصناف العنب والتفاح والطماطم والفلفل والورد وكل عام تتولَّد اصناف جديدة منها

لكن هذه الاصناف والانواع مهما اختلفت وتباينت تبقى متشابهة في امور كثيرة فلكلٍّ من الانسان والفرس رأس ودماغ وفم وعينان واذنان ومنخران وفكَّان واسنان ولسان وقصبة ورئتان وكبد وقلب ومعدة وامعاءٌ وكليتان ويدان ورجلان وعظام ولحم وجلد وشعر الى آخر ما هنالك ممَّا يشترك فيهِ الانسان والحيوان وهو كل عضو جوهري ظاهرًا وباطنًا بل هما يشتركان في اصل هذه الاعضاء وما تتركب منهُ من الشرايين والاوردة والالياف والحويصلات الاصلية التي تتركب اجسامهما منها . واذا شرَّحت فارة وشرَّحتَ انسانًا فقلما تجد بينهما فرقًا في شيءٍ جوهري . ولا تجد في جسم الانسان شيئًا لا تجدهُ في جسم الفارة فتجد اصابع اليدين والرجلين متشابهة تشابهًا تامًّا واغشية العين وبلوراتها ورطوباتها تجدها متماثلة كأنها افرغت في قالب واحد . ويزيد هذا التشابه في اجنَّة الحيوانات فتجد اجنَّة الانسان والفرس والكلب والطائر متشابهة تمامًا في ادوارها الاولى حتى لا تكاد تفرق بينها . وشجرة التفاح وشجرة البرتقال تتشابهان في الاغصان والجذور والورق والزهر والثمر والنمو والتفرُّع وكذلك نبات القطن ونبات الفول وهلمَّ جرًّا . والتشابه بين الاجزاء الاصلية المؤلفة منها اوفى واتم ومع ذلك كلهِ لم يسمع في تاريخ البشر من اول عهدهم الى الآن ان فرسًا صار انسانًا او كلبًا صار ثورًا ولا ان برتقالة صارت تفاحة او تينة صارت رمانةً بل هذه الانواع مستقلَّة بعضها عن بعض وقد كانت

مستقلة كذلك منذ الوف والوف الوف من السنين. ولكن البحث في المتحجرات الارضية يدلُّ على ان هذه الانواع لم تكن كذلك منذ اول عهدها بل كان لكثيرٍ منها اصل واحد يجمعها ومنهُ اشتُقَّت كما اشتُقَّت الاصناف المختلفة من النوع الواحد والانواع المختلفة من الجنس الذي يجمعها وهذا هو النشوء الذي قال بهِ دارون وغيرهُ من علماء الطبيعة واستدلوا على انهُ عمل بطيءٌ جدًّا اقتضى الوفًا وملايين من السنين حتى بلغت بهِ انواع الحيوان والنبات ما بلغت من التعدُّد والتباين وعلَّلهُ دارون وغيرهُ بالانتخاب الطبيعي والجنسي والجهاد لاجل البقاء وبقاء الاصلح مما بيَّناهُ غير مرة في شرح مذهب دارون

لكن هذا المذهب لم يسلم من اعتراضين كبيرين الاول ان بعض انواع الحيوان والنبات لم تتغير قط منذ العصور الجيولوجية الاولى الى الآن مع انها تعرَّضت لما تعرَّض لهُ غيرها من موجبات هذا التغيُّر. والثاني ان التغير المشاهد في الانواع بطيءٌ جدًّا حتى ان الزمن الذي قدروا اولاً انهُ مرَّ على الارض من حين صارت صالحة لمعيشة الحيوان فيها الى الآن لا يكفي لتولد الانواع وتباينها فاضطرَّ العلماء الطبيعيون والجيولوجيون ان يعيدوا النظر في تاريخ الارض لعلها تكون اقدم مما قدَّروا اولاً فاوصلوا قدمها الى مئة مليون سنة

وقد كان يخطر لنا خاطر نراهُ معقولاً ولو لم نرهُ مثبتًا بالامتحان العلمي وهو ان حياة النوع مثل حياة الافراد التي يتألف منها ذلك النوع كما ان حياة الفرد مثل حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ. فكما يولد الفرد وينمو وتمرُّ عليهِ ايام او سنون قبلما يبلغ اشدَّهُ ثم يلد افرادًا آخرين في احوال مخصوصة كذلك النوع يولد وينمو وتمرُّ عليهِ قرون كثيرة ثم يلد انواعًا أُخرى في احوال مخصوصة. فالنوع فصل قائم برأسهِ كالفرد ولهُ حياة طويلة نسبتها الى حياة الفرد كنسبة حياة الفرد الى حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ. فان جسم الحيوان مؤَلف من حويصلات صغيرة وكل حويصلة منها تولد وتلد حويصلة مثلها ثم تموت وتندثر في ساعات او ايام والحيوان يولد ويلد ثم يموت ويندثر في سنة او سنوات واذا مشينا على هذا القياس فلا بعد ان يجري النوع والجنس هذا المجرى فيكون للكون كلهِ نظام واحد من اعلاهُ الى اسفلهِ

ولا بدَّ من ان يكون هذا الخاطر قد خطر لكثيرين قبلنا ولكن الذين بحثوا عما يؤَيدهُ فلال اوَّلهم الاستاذ ده فريس الذي قال ان الانواع تتولَّد فجأَة وسمَّى ذلك بالتحوُّل الفجائي Mutation كما سيجيءُ

وقد اطَّلعنا الآن على تفصيل حادثتين شاهدهما الدكتور تشارلس هويت من علماء اميركا تدلان على حدوث التحوُّل الفجائي في الطماطم فرأينا ان نلخص ما ذكرهُ عنهما ثم نشفعهُ

بخلاصة التجارب التي جربها الاستاذ ده ڤريس النباتي الهولندي صاحب هذا الرأْي

قال الدكتور هويت اشتريت سنة ١٨٩٨ نحو ٢٤ نبتةً من نبات الطماطم من الصنف المعروف "بالاكم" ونقلتها قبلما تزهر الى حديقة صغيرة حول بيتي فعاشت وازهرت واثمرت وكان ثمرها من ثمر الصنف الذي هي منهُ تماماً . كان النبات كلهُ كبيراً دقيق السوق بلغ طولهُ اكثر من مترين فاستلقى على الارض ولون ورقهِ اخضر باهت وفصوصهُ ضيقة بعيد بعضها عن بعض ذات زُنَيدات طويلة وسطحها قليل التغضن وثمرهُ معتدل الحجم كروي مسطح او مستطيل عرضاً ينضج في وقت واحد وهو مشحم طيب الطعم يستحيل من اللون الاخضر الى الاحمر القرمزي مع قليل من الصفرة

واخترت البزر من اجود هذه الاثمار وصرَّرْت عليهِ وزرعتهُ في حديقتي في السنة التالية وانتظرت ان يكون النبات من صنف الاكم لان هذا الصنف صار ثابتاً ولانني اعتنيت اعتناء خاصاً حتى يبقى خالصاً لا يمتزج بغيرهِ ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها شيء من نبات الطماطم مطلقاً . فنبتت البزور وكبر النبات واذا هو مخالف للنبات الاصلي الذي اخذت البزر منهُ في شكلهِ وشكل ثمرهِ وفي كل الصفات المميزة لهُ وبان هذا الاختلاف من حين ظهر النبات من الارض اي في الاوراق الاولى منهُ وكانت الاوراق الاولى ثلاثاً وهذا شيء لم ارهُ في نبات الطماطم قبل ذلك . ونما النبات وبلغ اشدَّهُ وكان منتصباً مجموعاً ولا يبلغ ارتفاعهُ الاَّ نحو متر وثلث وكانت فروعهُ قليلة متينة ولون ورقهِ اخضر قاتماً وزنيدات الاوراق قصيرة قوية والوريقات عريضة غير بعيدة بعضها عن بعض وسطحها كثير الغضون والثمر مثل ثمر النبات الاصلي شكلاً ولكنهُ يختلف عنهُ لوناً وطعماً فهو اشد حمرةً منهُ واطيب طعماً ولا شيء من الصفرة فيهِ . ولم احفظ بزوراً منهُ بل اهملتهُ وظننت انهُ صنف جديد ضاع باهمالي لهُ

وسنة ١٩٠٠ اشتريت من شركة البزور في فلادلفيا بزوراً من بزور الطماطم المعروف بالاكم وكان مزروعاً في بنسلفانيا على نحو مئة ميل من الارض التي اشتريت منها نبات الطماطم اول مرة وزرعت البزر وربيت منهُ ثلاثين نبتةً وكانت كلها من صنف الاكم من غير خلاف مثل الذي وصفتهُ اولاً ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها نبات آخر من نوع الطماطم وبلغ النبات اشدَّهُ واثمر واحتفظت ببزورهِ جيداً مثلما فعلت اولاً وزرعتها في العام التالي حاسباً انها تنبت طماطماً من صنف الاكم الذي هي منهُ ولكن جاء الامر الآن كما جاء سنة ١٨٩٩ فانَّ كل نبات من هذه الانبتة وكل ورقة من اوراقها وكل ثمرة من اثمارها جاءت مثل النوع الذي تولَّد عندي سنة ١٨٩٩ تماماً ولا خطأ في ذلك لانهُ لم يهتم احد غيري بجمع البزر

وزرعهِ وخدمة النبات من اول ظهورهِ الى ان اثمر وقد اعتنيت بذلك اعتناء علميًّا كما اعتني بغيرهِ من التجارب العلمية . وسميت هذا الصنف الجديد بطماطم وشنطون وهو مخالف للصنف الذي تولَّد منهُ في الحالين شكلاً ولونًا وطعمًا ثمرًا وورقًا وقد حصل ذلك في هاتين النوبتين دفعةً واحدةً وكان التغيير شاملاً لكل البزور التي زرعتها لم تشذّ عنهُ بزرة واحدة . انتهى باختصار كثير

ويظهر من ذلك انهُ كان في الطماطم الذي زرعهُ ميل للتحوُّل ووجد في الارض التي زُرع فيها فواعل غير عادية ساعدت هذا الميل على الظهور . ولعلَّ الاصناف كلها تولدت على هذه الصورة وكذلك تولدت الانواع بعضها من بعض كأن في ميكروبات الارض وعناصرها ما يفعل بحويصلات النبات فعل اللقاح بالبيوض فتتولد منها اصناف وانواع جديدة كما يتولد حيوان من حيوان ونبات من نبات ويكون ذلك دفعة واحدة لا بالتدريج الذي قال بهِ دارون . والذي انتبه الى هذا الامر اولاً واثبتهُ بالتجارب هو الاستاذ ده ڤريس كما تقدم فانهُ زرع مئة نوع من النبات وكان يراقبها حتى اذا رأى اقلَّ اختلاف في نبات منها عن النبات الاصلي المأخوذ البزر منهُ وَضعَ حولهُ غشاء شفافًا ومنع اتصال اللقاح من غيرهِ بهِ وبعد تجارب كثيرة رأى نوعًا واحدًا من هذهِ النباتات قد تغيَّر تغيُّرًا كافيًا لان يسمَّى نوعًا جديدًا وهو النبات المسمَّى بنبات الحمار لان ورقهُ يشبه اذني الحمار واصلهُ من اميركا أُتي بهِ الى اوربا سنة ١٦١٣ وزرع في هولندا واعتاد اقليمها وهو ينبت فيها الآن بريًّا ويزرع بستانيًّا . وقد لوحظ منذ سنة ١٨٧٥ ان هذا النبات اينع حول مدينة هلڤرسم وكثرت اصنافهُ هناك وتنوَّعت كأنهُ كان في الدور الذي تظهر فيهِ التغيرات الجنسية فزرعهُ ده ڤريس بين ما زرع من النبات في بستان النبات بامستردام وظل يزرعهُ سنة بعد سنة ويراقبهُ مدة اربع عشرة سنة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٠ فتولَّد منهُ شكل جديد سنة ١٨٨٧ وتولَّد منهُ نوعان جديدان سنة ١٨٨٨ وفي سنة ١٩٠٠ صار عندهُ ٨٠٠ شجيرة تردّ الى سبعة انواع جديدة لم تكن معروفةً من قبل . وقد انتقى هذه الثمانمئة شجرة من خمسين الف شجرة اي ان التحوُّل الفجائي حدث في ١ ١/٢ في المئة وتجارب ده ڤريس دقيقة جدًّا لا تحتمل الخطأ

وقد ابان المسيو داستر في مجلة العالمين الفرنسوية ان هذا التحوُّل الفجائي اصاب انواع الحيوان في العصر الجيولوجي الاول الذي تدل عليهِ الطبقة الاولى من طبقات الارض الحاوية الاحافير فقد ابان اغاسز انهُ يظهر من تلك الاحافير كأنَّ انواع الحيوان ظهرت كلها حينئذٍ في برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقتضِ تكوُّنها زمنًا طويلاً وكذلك ابان

الدكتور تشارلس هويت ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدةً في العصر الكربوني

ولما ظهرت الزحافات في الدور الثنائي ظهر فيها اختلاف كبير فكان بعضها كبيرًا جدًّا يساوي الواحد منهُ اربعة افيال حجمًا وبعضها صغيرًا جدًّا اصغر من الهر وكان بعضها من اكلة اللحم وبعضها من اكلة النبات بعضها مما يعيش في الماء وبعضها مما يعيش على اليابسة بعضها يمشي على اربع وبعضها يمشي على اثنتين كالطيور وكان ظهور هذه الحيوانات كلها على اختلاف انواعها فجائيًّا بالنسبة الى الازمنة اللازمة لتحوُّل الانواع حسب رأْي دارون ولا يعقل انهُ وجدت على ذلك الاسلوب ثم انقرضت لانها لا تصلح للبقاء ولكن الاقرب الى العقل انها وجدت بغتةً ثم تغيرت انواعها الى انواع اخرى اي انها ولَّدت انواعًا اخرى قبلما ماتت

ويؤْخذ من كلام المسيو داستران التغير الفجائي يبتدئ في النبات عند اول ظهورهِ من البزرة كأَنهُ امرٌ عارض يطرأُ عليهِ. ولكن يظهر لنا ان هذا التغير يبتدئ في النبات الاصلي الذي تتولد منهُ تلك البزرة حين تولُّدها فيهِ اي كما ان الحيوان ينمو ويتجدد جسمهُ كل سنة ولكن ذاتيتهُ تبقى هي هي ثم يأْتي وقت يلد فيهِ حيوانًا آخر غيره لهُ ذاتية مستقلة عن ذاتيتهِ كذلك النوع يلد افرادًا مثلهُ فيبقى متصلاً بها الى ان يأْتي وقت يلد فيهِ نوعًا آخر جديدًا مستقلاً عنهُ فيكون النوع الجديد مخالفًا للاصل من حين ولادتهِ وبذلك تكون للانواع ذاتيات مستقلة مثل ذاتيات الافراد كما قدمنا في صدر هذه المقالة . وهذا التحوُّل الفجائي يفسر كل ما يرى من انواع الحيوان والنبات على اسهل سبيل ويدل على وحدة النظام في المخلوقات

حِيَل النبات

اذا صحَّ ما يقولهُ بعض العلماء من ان النبات يشارك الحيوان في الحس كما يشاركهُ في الحياة فليس بدعًا ان يفتق الحيل مثلهُ ويخلق الوسائل المتعددة لصيانة حياتهِ والدفاع عن كيانهِ ويعمد الى امور يشتمُّ منها رائحة الفهم والاستدلال وهي افعال طبيعية محضة لحفظ نوعهِ . فان من الحيوان ما يتغير لون جلدهِ بتغير لون الارض التي يتخذها سكنًا لهُ كبعض انواع السمّور في روسيا فان جلدهُ يبيضُّ في الشتاء متى كسا الثلج الارض اخفاءً لهُ من الاعداء ثم يعود الى لونهِ الاول بعد ذوبان الثلج . والضفادع التي تتسلق الاشجار يتلون جلدها بلون الاشجار وكذلك الضفادع التي تعيش بين الاعشاب ترى لونها مخضرًّا حتى يعسر الاهتداء اليها فيها . وما يقال في السمّور والضفدع يقال في غيرهما فنكتفي بهما شاهدين على الحيل التي تستنبطها الطبيعة في الحيوان لحفظ نوعهِ

واذا استُغرب استنباط الحيل في الحيوان للمحافظة على نفسهِ وهو معروف بانهُ ذو شعور واحساس ومنهُ ما هو ذو فهم وادراك فما قولك بالنبات ونسبة الحسّ اليهِ لا تزال مذهباً ضعيفاً . لا ريب ان ما يبدو على النبات من دلائل حبّ الحياة والرغبة في البقاء والدفاع عن نفسهِ من مكايد الاعداء اعجب مما يبدو على الحيوان واغرب بقدر ما بينهما من التفاوت في المنزلة والرتبة

والطرق التي يعمد النبات اليها للمحافظة على نفسهِ كثيرة منها ان بعضهُ ينبت بين العواسج والاشواك لكي لا تمدّ اليهِ يد انسان مغتال ولا فم حيوان جائع

ومنها ان بعض انواعهِ ينزع عنهُ اوراقهُ متى انتهى زمن نموّهِ ويتخذ شكلاً مخصوصاً ويبقى مدفوناً تحت الارض لاسيما حيث يشتدُّ القيظ صيفاً والبرد شتاء

ومن النبات ما ينبت تحت الماء فلا تصل اليهِ يد معتدٍ من الحيوانات التي تعيش في الهواء . نعم ان كثيراً من الحيوانات المائية يأكل النبات ولكنّ ضررهُ قليل في جنب الضرر الذي تحدثهُ الحيوانات الاخرى . ثم ان وجود النباتات المائية تحت الماء يقيها قرّ الشتاء في الاقاليم الباردة فان الماء مهما اشتدّ بردهُ لا يتجاوز درجة الصفر بخلاف الهواء كما هو معلوم

ومنهُ ما يتسلق الاشجار ويعرّش عليها فتبيت اوراقهُ بمأمن من الحيوان الآكل النبات كبعض انواع الدوالي واللبلاب

لكنّ من النبات ما لا يقتصر على خطة الدفاع عن نفسهِ بل يتخطاها الى الهجوم على الحيوان الذي يدنو منهُ او يعترض في سبيلهِ اخذاً بالثار من الحيوان الذي يسطو على غيرهِ من اخوانهِ . واشهرهُ نوع ينبت تحت الماء ويرسل خراعيبهُ في كل جهة وفي الخراعيب اكياس صغيرة في طرف كلّ منها اهداب على شكل قمع يؤدي الى ما هو بمنزلة الفم فاذا ضغط من الخارج فتح حالاً ثم انضمّ وانصرم حتى يتعذر على ما دخلهُ من الحشرات والديدان الصغيرة ان يخرج منهُ فهو لها مثل المصيدة للذباب والفئران . ومتى ماتت اغتذى النبات بلحمها

ومن النبات نوع اذا اكتمل نضج بزورهِ انفلق الغلاف الذي يحويها بقوة فانتثرت البزور في كل جانب فعسر على الحشرات الاهتداء اليها لصغرها . ومنهُ البنفسج واللوبياء والخروع وغيرها

ومن اغرب انواع النبات وابهجها نوع من السوسن يقلد الحية ذات الاجراس حيث يكثر وجودها في هيئتها والصوت الذي يحدث منها . فاذا مستهُ بهيمة ترعى عند تمام بلوغهِ ونضج بزورهِ صاتت البزور في غلفها صوتاً يشبه صوت الحية المذكورة فتنفر البهيمة منهُ مذعورة مخافة ان يكون حية فيسلم بذلك الى السنة التالية

ومن البزور ما يقلد الحصى في شكلهِ الخارجي ولونهِ حتى اذا سقطت بزرة على الارض بين الحصى عسر الاهتداء اليها او على التربة ظن انها حصاة فلم يتعرض لها . من ذلك بزور الخروع وبعض انواع اللوبياء . ومن التين الشوكي (الصبير) ما يشبه ورقهُ حجارة الارض التي ينبت فيها من حيث شكلها ولونها فلا يهتدى اليهِ . والمخلوقات كلها في جهاد مستمر يميت بعضها بعضاً ويحيي بعضها بعضاً ويقهر بعضها بعضاً وينصر بعضها بعضاً نظام تحار الافهام فيهِ ولا يسهل الاهتداء الى اسرارهِ وخوافيهِ

جزيرة سخالين[١]

هذه الجزيرة السحيقة الارجاء الشاسعة الاطراف تشغل قسماً كبيراً من بحر اوخنسك وهي منفى للذين يرتكبون الجرائم الكبيرة من الروس . وقد زادت اهميتها بسبب الحرب الحاضرة فجعل ساسة الدولتين المتحاربتين يبحثون في امرها وفي ما يؤول اليهِ بعد الحرب . ويذكر القراء ان الطراد الروسي نوفيك غرق امامها في مياه ثغر كورسا كوفسك واليابانيون يجدون في اثرهِ ويطلقون قنابلهم عليهِ حتى اصاب الثغر المذكور نصيب منها . ومن ذلك الحين طرأ انقلاب عظيم على داخلية الجزيرة نشأ عنهُ تخفيف بعض الكرب عن المنفيين وتاليف فصائل متطوعة منهم لحراسة الجزيرة والمدافعة عنها جهد المستطاع . وقد بان واشتهر ان افكار اليابانيين موجهة اليها يتمنون فتحها والاستيلاء عليها مهما كلفهم ذلك

اما تاريخها فمجملهُ ان الاوربيين لم يكونوا يعرفون شيئاً عنها قبل اوائل القرن الثامن عشر عند ما ظهر اطلس الجغرافي الشهير انفيل وهو المسمى "اطلس الصين الجديد" . وظنوا بعد ذلك انها شبه جزيرة ولكن احد السياح الروس طاف شطوطها الغربية سنة ١٨٤٩ فرأى انها جزيرة لا شبه جزيرة . اما اليابانيون فعرفوا انها جزيرة منذ زمن طويل فان احد مهندسيهم وضع خريطة دقيقة لها سنة ١٨٠٨ فلم يعلم الاوربيون بها الاَّ حديثاً

وفي سنة ١٨٦٧ عدت هذه الجزيرة ملكاً مشاعاً يحق للجميع الانتفاع بهِ ولكن وقع نزاع عليها بين الروس واليابانيين وعدها كل منهم ملكاً لهُ حتى اضطر الامر الى عقد مجلس من مندوبي الفريقين فقرر انهُ يجوز لمن اراد من الطرفين الانتفاع باراضي الجزيرة والجولان فيها بلا معارضة وان يعد القسم الجنوبي منها من المستعمرات اليابانية . ثم ابرم الفريقان اتفاقاً سنة

---

(١) معربة عن الروسية بقلم عساف افندي جرجس وهبه

١٨٧٥ امآلهُ انتقال الجزيرة الى ايدي الروس ووضع اليابانيين يدهم على جزائر كوريل بدلاً منها

ومخرت باخرة من بواخر الاسطول الروسي المتطوع في مياهها سنة ١٨٧٩ وهي تقل عدداً كبيراً من المنفيين . وفي كل سنة يرسل اليها عدد منهم . وقد تألفت لجنة للاهتمام بسكناهم ومعيشتهم وتدبير شؤونهم

والجزيرة غنية بالمعادن وخصوصاً الفحم الحجري والبترول والحديد ولكن تربتها لا تصلح للزراعة . واعظم ما يرغّب اليابان فيها كثرة صيدها من انواع السمك المختلفة ويكثر على شطوطها نوع من السمك يصطادهُ اليابانيون ويسمدون بهِ حقولهم . وغاباتها كثيفة لم تمسَّها يد انسان . وقد انتدبت شركة البترول في باكو احد مشاهير الجيولوجيين من الروس لفحص مناجم البترول التي فيها فقرر ان كل ما رآهُ في اميركا وباكو منهُ لا يعادل ما رآهُ فيها . ويقال بالاختصار ان فيها من الخيرات الطبيعية ما لا تكاد بقعة اخرى من بقاع المعمور تحوي مثلهُ

وللروس فيها الآن ١٦٣٤ جندياً نيطت بهم حراسة المنفيين . وقد الفت الحكومة المحلية جندًا منظماً من المنفيين انفسهم دربتهُ على احكام الدفاع عن الجزيرة . ومما يذكر عنها ان اسباب المعيشة فيها صعبة لكثرة الامطار والجليد وشدة البرد وقلة اسباب اتصالها بروسيا في فصلي الشتاء والربيع خصوصاً وهي فرضة لضواحي نهر عامور فمن يستولِ عليها فقد استولى على بلاد غنية كثيرة الخيرات اذا عرف كيف يستثمر خيراتها

باب المراسلة والمناظرة

كتاب الاملاء

الى حضرتي الفاضلين الجليلين منشئي المقتطف الاغر

اني احييكما تحية مباركة طيبة واستجديكما قبولها ممن يدري مكانتكما في العلم والعالم واجلكما بقدر ما اثرتما بالفكر والقلم في وادي النيل بل في الدنيا وبقدر ما احييتما من انفس ماتت من الجهالة واشكر لكما ما تفضلتما بهِ من تقريظ كتابنا "كتاب الاملاء" واعتقد أن لكما عذراً في عدم استقصاء مواضيعهِ مطالعةً فان زمنكما نفيس وصرفهُ فيما يعنيكما ويعني الامة من جهات اخرى اولى ولو اتيح لكما من الوقت ما يسع المطالعة التامة في الكتاب

لوجدتماهُ وفاق غرضكما تماماً مميزاً فيهِ بين الراجح والمرجوح لا كما ذكر عفواً في صفحة ٤٠٨ من المقتطف الصادر في مايو الماضي فقد جاء فيها ما نصهُ وجمع بين آراء المحققين وآراء المتقدمين في كثير من المواضيع وحبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح

وانني لا يمكنني أن اكلفكما مطالعة الكتاب ولا احب الاطالة في الاستدلال حرصاً على وقتكما النفيس ولكن لا بأس ان ذكرت مسألة واحدة هي نموذج لتمييز بين الراجح والمرجوح في الكتاب كلهِ والكتاب موجود عند عدم كفاية ذلك ولا اخالكما الاَّ مكتفيين

جاء في صفحة ٤٠٨ من المقتطف المذكور ما نصهُ وفضَّل نقط الياء المتطرفة

والحقيقة ان بعض العلماء كما ذكرت في صفحة ٣١ من مقدمة الكتاب يقول بنقطها اذا نطق بها ياء لا الفاً لينة ولما كان ذلك خلاف الراجح قلت ردًّا عليهِ في تلك الصفحة بعينها اثناء كلام هذا نصهُ لكن الذي عليهِ المعول ان النون والفاء والقاف اذا تطرفت او انفردت جاز فيها النقط وعدمهُ وان الياء اذا تطرفت او انفردت لا يجوز نقطها اه

ثم قلت في صفحة ٢٢٥ عند الكلام على نقط الياء ما نصهُ : الثاني الياء الواجب اهمالها وهي قسمان الاول الياء المتطرفة الى ان قلت في صفحة ٢٢٦ ما نصهُ : وذكرنا في المقدمة عن بعضهم ان المتطرفة تنقط ان لم تكن الفاً بصورة الياء فرقاً بين الياءين . فعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو (المعطِي) اسم فاعل و (المعطَى) اسم مفعول بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط . ولا يخفى ان النقط اشد اتصالاً بجوهر الكلمة من الشكل بدليل انهم يستغنون عن الشكل ولا يستغنون عن النقط فلو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني اه

وقد فتحت جميع مسائل الكتاب بالراجح ومن هنا يعلم اني ما فضلت نقط الياء المتطرفة بل الذي جريت عليهِ انها لا تنقط غاية الامر من حيث اني اذكر الخلاف ذكرت ان بعضهم خالف فقال بنقطها في حالة دون حالة كما ذكرنا وان دليلهُ قوي ولكنهُ خلاف المشهور . واني في هذا المقام التمس منكما امرين الاول قبول معذرتي في هذا الخطاب كما قبلت معذرتكما فيما ذكر . والثاني التفضل بنشر الحقيقة في المقتطف اتماماً للجميل الذي بدأتما بهِ لاسيما وان التمييز بين ما ذكر من مقاصد الكتاب التي نبهنا عليها فيهِ . وفي الختام ارجو قبول اخلاصي القلبي واحترامي والسلام

حسين والى

[المقتطف] اننا نشكر حضرة الكاتب الفاضل على تنويههِ بذكر المقتطف ولا ننكر اننا لم نطالع كتابهُ كلهُ ولكننا طالعنا ما بهِ الكفاية . والذي ذكرناهُ من حيث الراجح والمرجوح

خاص بمقدمة الكتاب لان فيها المواضيع التي تضاربت فيها آراء المتقدمين من كتّاب العربية والمحققين من علماء هذا العصر اما سائر الكتاب فلا وجه لاختلاف المتقدمين والمحققين فيهِ لانهُ من المعارف الوضعية او النقلية. وكأنهُ يطلب منا البسط والايضاح فلا نبخل بهما لاننا نرى منهما فائدة عامة . هب انك رأيت رجلاً من الصاغة جمع بين عشرين درة من الدر ثمن الواحدة منها مئة جنيه او اكثر وبين عشرين قطعة من الخزف ثمنها كلها خمسة مليمات وصاغ من ذلك عقدًا واحدًا وقد نظرت الى ذلك وانت تعرف ما هو الدر وكم ثمنهُ وما هو الخزف وكم ثمنهُ فاقلّ ما تقولهُ عن ذلك الصائغ حبذا لو ميز بين الدر والخزف . او هب ان حضرة مهندس ديوان الاوقاف وضع كتابًا شرح فيهِ كيفية رسمهِ لبناء ديوان الاوقاف الجديد وبناء غرفهِ ودورهِ وزخرفتهِ من الداخل والخارج ووضع فيهِ الرسوم المختلفة والاشكال التي اختارها من المباني العربية القديمة والتي نوَّعها واصلحها والزمن الذي اقتضاهُ بناء ذلك الديوان والنفقات التي انفقت عليهِ وبيَّن كل ذلك بالتفصيل التام . وان انسانًا من المشايخ اسمهُ الشيخ القليوبي مثلاً علق في حاشية كتاب من كتبهِ ان الخضر عليهِ السلام جاءهُ ذات ليلة وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال لهُ اني ارى بناء ديوان الاوقاف في شارع عابدين ضيقًا فابنِ لهُ دارًا آخرى. ثم نهض في الصباح فرأى دار ديوان الاوقاف الجديد قائمة تامة كما هي الآن

ثم هب ان رجلاً كتب تاريخ القاهرة بعد مئة سنة من الآن وذكر دار ديوان الاوقاف هذه فقال ان في اصل بنائها روايتين الواحدة ان مهندسًا اسمهُ صابر بك صبري وضع رسمها وتولى بناءها وبلغت نفقاتها كذا كذا من الجنيهات من مال الاوقاف . والرواية الثانية ان الخضر عليهِ السلام بناها في ليلة واحدة بطلب الشيخ القليوبي. ذكر الروايتين ولم يفرق بينهما بقولهِ ان الاولى صحيحة والثانية خرافية. ولماذا نفرض هذا الفرض وعندنا ما هو مثلهُ فان مدينة تدمر كانت من اعظم مدن المشرق وكانت عاصمة مملكة كبيرة في بلاد الشام ولم تزل آثارها من اعظم آثار المدائن الشرقية. وقد ذكرت التواريخ القديمة شيئًا عن عظمتها وكيفية بنائها ولا يزال علماء الآثار يذهبون اليها ويبحثون في آثارها حتى لو جُمع كل ما كتب عنها في كتب المتقدمين والمتأخرين لملأ مجلدات كثيرة. هذه هي الرواية الواحدة عن اصل هذه المدينة وكيفية انشائها . ولاحد شعراء البادية رواية اخرى يقول فيها ان الله قال لسليمان الحكيم

وجيّش الجن اني قد اذنت لهم   يبنون تدمر بالصفّاح والعمدِ

فبنوها لهُ. وهب ان كاتباً من الكتاب ذكر الروايتين ولم يشر الى ان الرواية الثانية خرافية بل ذكرها كانها تحتمل الصحة كالرواية الاولى فهل نخطئ اذا قلنا حبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح . وقد يظن حضرة المؤلف اننا ابعدنا في التمثيل ولكن الامر ليس كذلك بل ان الفرق بين الاقوال الاولى التي قالها عن اصل الكتابة في الصفحة ٣و٤و٥ وبين كثير مما قالهُ بعد ذلك في الصفحة ٦ وما يليها كالفرق بين الدر والخزف او بين رواية صابر بك صبري عن بناء ديوان الاوقاف ورواية الشيخ القليوبي او بين رواية المؤرخين وعلماء الآثار عن بناء تدمر ورواية النابغة الذبياني

فقولهُ "ان القدماء كانوا يصورون الليث رامزين بذلك الى ذاتهِ ثم انتقلوا فرمزوا بالصورة الى اول الحروف في اسم صاحب الصورة" قضية علمية لم يصل العلماء الى تحقيقها الا بعد الدرس والبحث وهي كالدر الثمين. وقولهُ "ان الكتابة بلغت غايتها من الاتقان والجودة في دولة التبابعة وان اول من خط بالعربي اسمعيل الاّ ان كل حروفهِ كانت متصلة حتى الالف والراء" من الاقوال التي لا دليل ولا شبه دليل على صحتها . ونسبتها من حيث قيمتها التاريخية الى الاقوال الاولى كنسبة الخزف الى الدر لكن المؤلف ذكر هذه الاقوال وتلك كأنها من قبيل واحد في القيمة التاريخية وهذا الذي اردناهُ حينما قلنا انهُ جمع بين آراء المحققين والمتقدمين ولم يميز بين الراجح والمرجوح اي لم يفصل او لم يفرق بينها بفارق يدل على صحة قول المحققين وبطلان قول غيرهم

ولا بأس بذكر الاقوال المرجوحة اذا قامت قرينة تدل على ضعفها او بطلانها ففي ما كتبناهُ عن تدمر مثلاً في المجلد الخامس من المقتطف الصادر في غرة يوليو سنة ١٨٨٠ اي منذ ٢٥ سنة مضت ذكرنا اقوال المؤرخين عن بنائها واقوال غيرهم فقلنا "ان الامبراطور اورليانوس دوخها وقتل الثائرين من اهلها فافل نجم سعدها ولم تنهض من تلك السقطة بل دكّت ابراجها الحصينة وتقوضت مبانيها الفخيمة وتهدمت صروحها الباذخة ولكن لم يعفُ آثارها كرور الايام ولا افنت عظمتها ايادي الدهر فقد ادهشت انقاضها واطلالها كل من رآها حتى زعم القدماء انها من بناء الجن كشأنهم في نسبة كل ما زعموهُ فوق طور البشر الى الآلهة والجان قال النابغة الذبياني

الاَّ سليمان اذ قال الالهُ لهُ   قم في البرية فاحددها عن الفندِ
وجيش الجن اني قد اذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمدِ

وقد ذكر تدمر ابو الطيب المتنبي حين تحصّن بها بنو عامر وكلاب من سيف الدولة بن

حمدان العدوي سنة ٣٤٤ هجرية بقولهِ

وليس بغير تدمر مستغاث   وتدمر كاسمها لهم دمارُ

فترى في ما نقلناهُ هنا حقيقتين تاريخيتين الاولى ان الامبراطور اورليانوس خربها في اواخر القرن الثالث المسيحي والثانية انها كانت خرابًا في عهد المتنبي سنة ٣٤٤ للهجرة اي بعد ان خربها اورليانوس بنحو سبع مئة وعشرين سنة وذكرنا بين هاتين الحقيقتين خرافة مشهورة وهي نسبة بنائها الى الجن بنتها لسليمان وابنا ان هذا القول خرافة وبيَّنا سببها وعلى هذا السبيل كان يحسن بالمؤلف ان يميز بين الاقوال الراجحة والمرجوحة

اما قولنا انهُ فضَّل نقط الياء المتطرفة فمبنيٌّ على ما جاء في الصفحة ٢٢٦ حيث قال وعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو المعطِي والمعطَى بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط ... الى ان قال

"ولو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني" اي لاختاروا الفرق بين الياء والالف بالنقط لا بالشكل فاذا كان المؤلف يقول ان الانصاف يقضي باختيار النقط فلا نلام اذا فهمنا من ذلك انهُ يفضل النقط والاَّ نسبناهُ الى عدم الانصاف

هذا وما يصدق عليهِ حكم الراجح والمرجوح قليل جدًّا وما بقي من الكتاب قواعد وشروح تشهد لحضرة جامعها وشارحها بالاعتناء والتدقيق وحب الافادة فنكرر شكرنا لهُ

تشيع المقتطف للانكليز

الى حضرة منشئي المقتطف الفاضلين المحترمين

(وذكّر ان نفعت الذكرى) ان كثيرين ممن نعرفهم من قراء المقتطف الاغرّ مع اعترافهم بفضلهِ ونفعهِ يرمونهُ بالتشيع للانكليز يقولون انهُ لا ينوّه الاَّ بالانكليز ولا يعترف بالفضل الاَّ للانكليز ولا يستحسن الاَّ ما هو انكليزي ولا ولا وربما حملهُ هذا الغلوّ في حب الانكليز علي استحسان ما يستقبح من غيرهم و يستهجن و يستشهدون علي الأول باغضائهِ عن ترجمة جول سيمون الفيلسوف الافرنسي الطائر الصيت والسيد جمال الدين الافغاني ثم اغضائهِ هذه المرة عن ترجمة المحسن الشهير احمد باشا المنشاوي وذكر خبر وفاتهِ بالاختصار في باب الاخبار ورؤيتهِ بعد خروجهِ من السجن في حين ان لهُ الحق ان يترجم وتنشر صورتهُ في صور المقتطف أسوة بغيرهِ من المحسنين الانكليز وابنائهم الاميركيين ولهُ الحق ايضًا من جهة كونهِ من رجال المال والاعمال أسوةً بالفحَّام والسكاف وبائع البيرة الذين ترجمهم

المقتطف وبسليمان افندي الخوري الحمصي الطبيب الذي خدم المرضى بطبهِ وبكحلهِ. ويستشهدون على الثاني بذكر المقتطف في معرض الاستحسان قفز الرئيس روزفلت ووثبهُ من فوق الكرسي امام احد الوزراء لقاء برنيطة جديدة طلبًا للراحة كأن الراحة لا تحصل الاَّ بهذا العمل الذي لو صدر من غيرهِ لعُدَّ خفةً ودناءة معًا وقولهِ لاحد النواب اما انا فلم اسرَّ بمشاهدتك لانني مشغول جدًّا ولا وقت لي لمشاهدة احد مما يعد خشونة وفظاظة لو صدر من غيرهِ مع ان لهُ مندوحة عن ذلك بصرفهِ بالتي هي احسن فعسى ان يعتدل المقتطف ويقل من هذا التشيع ويساوي بين الناس فذلك اقرب الى الصواب وابعد عن التهمة وبالله التوفيق

بيروت منتقد

[المقتطف] لا نسرُّ بشيءٍ مطلقًا كما نسرُّ بالانتقاد لانهُ اما ان يُبيّن خطأً ارتكبناهُ نحن فنصلحهُ او خطأً ارتكبهُ المنتقد في ادراك غرضنا فنصلحهُ لهُ

ومدار هذا الانتقاد على اننا لا ننوه الاَّ بالانكليز ولا نستحسن الاَّ ما هو انكليزي

وجوابنا عن ذلك ان ليس الغرض من ذكر من نترجمهم في المقتطف من الانكليز التزلُّف اليهم او الى قومهم لان الذين نترجمهم يكونون قد ماتوا في الغالب ولان قومهم لا يعرفون العربية ولا يرون المقتطف. ولا نذكر اننا ترجمنا واحدًا من الانكليز وعرف هو او ذووهُ ذلك. وانما غرضنا الفائدة العلمية التي تنتج لقراء المقتطف من مطالعة الترجمة او الفائدة التاريخية من ذكر اعمال المترجم العلمية. ومعلوم ان الذين يستحقون ان تذكر ترجماتهم في المقتطف كثار جدًّا لا يسع المقتطف ترجماتهم كلهم ولو كان اضعاف ما هو فيبقى علينا ان نختار ما نريد ولما لم يكن لنا غرض في التزلف الى المترجم او قومهِ وان قصدنا التزلُّف فلا سبيل لنا اليهِ لاننا قلما نترجم غير الموتى ولا احد من ذويهم يقرأُ المقتطف كما تقدم ترتب علينا ان نجري على سنة الطبيعة في اختيار ما هو انفع واقرب تناولاً من غيرهِ. واكثر مطالعاتنا في اللغة الانكليزية فنرى الترجمات المطلوبة فيها وهي في الغالب عن رجالها. ولكن اذا مات عالم مشهور من غير الانكليز فقلَّما نتأخر عن ترجمتهِ كما ترون في ترجمة باستور الفرنسوي ووركو الالماني والمعلم بطرس البستاني السوري والشيخ محمد بيرم التونسي وعبد الله باشا فكري المصري. ونحن اميل الى ذكر ترجمات العلماء منا الى ذكر ترجمات الفلاسفة او الكتَّاب عمومًا ومع ذلك اذا عثرنا على ترجمة احدهم ورأينا فيها فوائد تستحق الذكر للانتفاع بها لا نتأخر عن نشرها. فذكرنا لترجمات الانكليز ليس للتنويه بهم ولا للتزلف اليهم بل للفائدة التي تحصل لقراء المقتطف من ترجمات اناس اشتهروا بالعلم او بالعمل

ولقد جرينا على هذه الخطة منذ ثلاثين سنة حينما كان اكثر قراء العربية يستخفون بعلم الانكليز وقوتهم ومهارتهم وكان كثيرون من اصدقائنا يخطئوننا الاَّ اننا كنا نعلم انهم هم المخطئون لاننا لم نختر ما اخترناهُ عن هوًى او قلة اطلاع وقد رأوا الآن اصابة راينا وحسن اختيارنا . والفرنسويون انفسهم صاروا يحثون ابناء وطنهم على الاقتداء بالانكليز والجري على خطتهم في التعليم والتهذيب كما ترون في كتاب ديمولان الذي ترجمهُ من الفرنسوية الى العربية حضرة احمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية

اما السيد جمال الدين الافغاني واحمد باشا المنشاوي فعذرنا عن اغفال ترجمة الاول منهما بسطناهُ قبل الآن وهو اننا لانعرف الرجل ولم نرَ لهُ الا كتيبًا في الرد على دارون لايستحق لاجلهِ مدحًا وقد وعدَنا اخص اصدقائهِ مفتي الديار المصرية حالاً ان يكتب لنا ترجمتهُ واعددنا الصورة الفوتوغرافية لذلك ثم حالت اشغالهُ دون اتمام الوعد. واما احمد باشا المنشاوي فلم يكد يتوفى حتى نشرت الجرائد المصرية اقوالاً عن كيف جمع ثروتهُ لا تجعل حياتهُ مما يصح ان يذكر مثالاً للاقتداء بهِ . ولا يعلم حتى الآن كم يبقى من ثروتهِ متى اوفيت ديونهُ كلها ولا متى تصل الاملاك التي وقفها الى الجهات الخيرية التي وقفها عليها . وكل ذلك جعلَنا نتردَّد في نشر ترجمتهِ ثم اكتفينا بما ذكرناهُ عنهُ بعد إعمال النظر واختيار الاصلح

واما استقباحكم لقفز الرئيس روزفلت امام احد الوزراء فنحن نخالفكم فيهِ ونعدُّ قفزهُ من ادل الامور على الرجل كما هو—على البساطة الطبيعية الخالية من التصنُّع. والظاهر انهُ لايعجبكم الاَّ ان يجلس المالك جلوس المتغطرس المتعظم ويقف الوزراء امامهُ خاشعين او يجلسون التركيَّة على طرف المقعد . وكذلك اعرابهُ عمَّا خالج ضميرهُ وتكلمهُ بالصدق حينما قال لاحد النواب اني لم اسرَّ بمشاهدتك . ولا ندري كيف يستهجن ذلك احد يحب الصدق ويكره الكذب. اما هذا الرئيس الذي تحتقرون فعلهُ وتستخفون بهِ فملوك اوربا واسيا يقفون عند رأيهِ ويعدونهُ من احكم ملوك الارض . والذي ذكر ما تستهجونهُ كاتب مشهور كان مناظرًا لهُ ولولا قليل لكان هو الرئيس الآن للولايات المتحدة ولا يبعد ان يكون الرئيس بعدهُ

والشيء الذي تستهجنونهُ تستحسنهُ الامة الاميركية التي هي ارقى امم الارض ويستحسنهُ كل من ربي تربية العمل والاجتهاد والاخلاص وعدم التصنع . وياسعد بلاد يجدُّ ملوكها وقت الجد ويهزلون وقت الهزل ويتكلمون الصدق ولو عليهم ويظهرون امام رعيتهم انهم بشر مثلهم لا الهة ولا اصنام

حالة مصر المالية

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعتُ على مقالتيكم في العدد الخامس تحت عنوان "نجاح مصر ومستقبلها" "وحالة مصر في هذا العام". واني وان لم اكن من فرسان هذا الميدان الاَّ ان ما اعتاده قراؤُكم من تساهلكم معهم ورغبتكم في البحث ونشر الحقائق جرَّأني على تقديم هذه العجالة قصد الاستفادة لا الانتقاد فاقول

يظهر من مقالتيكم انكم تعتقدون انهُ اذا كان الوارد الى مملكة اكثر من الصادر منها فذلك دليل تأخرها وخسارتها ولكن ها كم جدولاً منقولاً عن غرفة تجار انكلترا فيهِ قيمة الوارد والصادر عن عشرين مملكة في مدة عشر سنوات لغاية ١٨٩٩

الصادر بملايين الجنيهات	الوارد بملايين الجنيهات	
٢٣٧٠	٣٧٤٨	بريطانيا العظمى
١٦٩٨	٢١٩٥	المانيا
١٩٨٧	١٥٤١	الولايات المتحدة
١٤٠٥	١٦٦٢	فرنسا
١٠٥٤	١٢٦٢	هولندا
٦٠٨	٧١٢	بلجيكا
٦٥٩	٥٨٥	النمسا والمجر
٦٧٢	٥٢٨	روسيا
٤٢٢	٤٩٥	ايطاليا
٣٤٨	٣٥٢	اسبانيا
٢٣٥	٣١٣	الصين
٢٩٢	٢٥٥	الارجنتين
١٨٣	٢١٣	اسوج
١٤٠	١٧٤	اليابان
١٢٣	١٧٥	الدنمارك
١٤٠	١٧٥	شيلي

١١٠	١٥٠	رومانيا
١٣٢	٩٨	مصر
٧٥	١٣٦	نروج
٥٧	٧٣	البرتغال
١٢٧١٠	١٤٨٠٢	المجموع

وترون من هذا الجدول ان ١٤ مملكة واكثرها من الدرجة الاولى غنًى وتجارة كانت وارداتها اكثر من صادراتها فاذا كان المبدأ المذكور آنفًا صحيحًا فيلزم ان نعتقد ان انكلترا مثلاً خسرت في مدة السنوات العشر المذكورة مبلغ ١٣٢٢ مليون جنيه وهكذا المانيا وفرنسا وبقية الاربع عشرة مملكة التي زادت قيمة وارداتها على قيمة صادراتها فهل يمكن ان يكون ذلك صحيحًا . نعم ان بين الممالك الست الباقية التي صادراتها اعظم من وارداتها يوجد اميركا وبر مصر ولا شبهة في نجاحهما ولكن ألا يوجد لذلك اسباب اخرى

والاكثرون في انكلترا يعتقدون ضد مبدإكم والجدول المتقدم يقوي حجتهم فما قولكم في ذلك

ثم ان ما يصح على الافراد يصحُّ على المملكة فما قولكم في التاجر الذي يخرج من محلهِ اكثر مما يدخل اليهِ فبلا شك لا يبقى عندهُ شيء وبالعكس التاجر الذي يدخل محلهُ اكثر مما يخرج منهُ فهو دليل التقدُّم والنجاح . هذا ما جال في خاطري وارجو بسط رأيكم في ذلك ولكم الفضل

خليل ابرهيم

مانشستر جباره

[المقتطف] نشكر فضلكم لانكم نبهتمونا الى ايضاح هذا الامر فقد بلغنا انهُ اشكل على غيركم ايضًا . واننا نوضح اولاً مسألة التاجر التي ذكرتموها اخيرًا فنقول ان تشبيه المملكة بالتاجر لايصح على الصورة التي ذكرتموها وانما يصح اذا كان التاجر يقابل بين ثمن البضائع التي يشتريها وبين ثمن البضائع التي يبيعها في سنتهِ فيجد انهُ دفع ثمن البضائع التي اشتراها اكثر مما قبض ثمن البضائع التي باعها . فان كان يفعل ذلك وينجح فالمملكة تنجح اذا دفعت ثمن ما يدخلها اكثر مما قبضت ثمن ما يخرج منها . وقيسوا على التاجر الصانع والزارع ومستخرج المعادن وكل رب بيت فانهُ اذا كان الواحد من هؤُلاء يدفع ثمن ما يوردهُ الى معملهِ او الى ارضهِ او منجمهِ او بيتهِ اكثر من النقود التي ترد اليهِ ثمن بضائعهِ او غلات ارضهِ او معادن منجمهِ او اجرة عملهِ فانهُ سائر في طريق الخسارة والخراب لامحالة وهذا امر بديهي لايختلف فيهِ اثنان.

والتاجر الذي تشيرون اليهِ لا يربح من زيادة ما يدخل محلهُ على ما يخرج منهُ الاَّ اذا وهبوهُ البضائع هبةً او اكل ثمنها على اصحابها واما اذا اضطرَّ ان يدفع ثمنها في مواعيدها فانهُ يتأخر لا محالة واما اذا اردتم بالداخل والخارج النقود التي تدخل وتخرج فلا تعود الحال مماثلة لحال المملكة

هذا ولنعد الآن الى الممالك التي تزيد قيمة وارداتها على قيمة صادراتها ونخص الكلام بالبلاد الانكليزية اولاً

البلاد الانكليزية قيمة وارداتها اكثر من قيمة صادراتها كما قلتم ولكن لها موارد اخرى كثيرة تكسب منها الملايين الكثيرة وهي غير محسوبة مع قيمة صادراتها فاولاً لرجالها الذين خدموا الهند والذين يخدمونها الآن في البلاد الانكليزية معاشات ومرتبات تبلغ ٢٧ مليون جنيه كل سنة وهذه لا تحسب بين النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

وثانياً للانكليز اموال يستثمرونها في كل الدنيا في المعامل والمصانع والديون الدولية لا نظن ان ايرادها السنوي يقل عن ٢٨٠ مليون جنيه او هو اكثر من ذلك فقد بلغ ايراد الحكومة المعروف بايراد الدخل income tax في العام الماضي نحو ٣٦ مليون جنيه وبموجبهِ يكون دخل الاهالي نحو ٨٨٠ مليون جنيه ومعلومكم ان قيمة الصادرات كلها لم تبلغ سوى ٤٠٠ مليون جنيه فالباقي وهو ٤٨٠ مليون جنيه اكثرهُ ايراد للانكليز من اموالهم المستثمرة في الدنيا

ثالثاً السفن التجارية الانكليزية تحمل نحو نصف تجارة الدنيا ويعسر علينا ان نقدر ربحها من ذلك تماماً ولكنهُ كثير جدًّا لا نظن انهُ اقل من ١٣ مليون جنيه وهذا غير محسوب مع النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

فيصير حساب البلاد الانكليزية هكذا اي حساب ما تدفعهُ ثمن البضائع التي تستوردها من الخارج وما تقبضهُ ثمن البضائع التي تصدرها الى الخارج مضافًا الى ذلك الاموال التي تقبضها من الهند معاشات ورواتب والاموال التي تكتسبها فوائد وارباحًا لاموالها الكثيرة المشتغلة في الدنيا والاجور التي تأخذها سفنها التجارية

الاموال التي دفعتها في العام الماضي قيمة وارداتها	٥٩٧	مليون جنيه
الاموال التي قبضتها ثمن صادراتها	٤١٧	مليون جنيه
" " قبضتها من الهند	٢٧	" "
" " " ريع الديون والشركات	٢٨٠	" "
" " " اجرة سفنها	١٣	" "
والجملة	٧٣٧	

فتزيد الاموال التي تقبضها البلاد الانكليزية في سنة واحدة على الاموال التي تدفعها نحو ١٤٠ مليون جنيه على اقل التقادير

وقيسوا على ذلك المانيا فان قيمة صادراتها تبلغ الآن نحو ٢٩٠ مليون جنيه وقيمة وارداتها نحو ٣١٦ مليون جنيه اي انها تقبض في السنة ٢٩٠ مليون جنيه ثمن صادراتها وتدفع ٣١٦ مليون جنيه ثمن وارادتها فينكسر عليها من هذا الباب ٢٦ مليون جنيه ولكن لها اموال وافرة في الديون الروسية والايطالية واموال اخرى في الشركات الاجنبية الصناعية والتجارية ولها سفن تجارية تأخذ اجرتها من اموال الاجانب فيزيد ما تكتسبهُ المانيا من هذه السبُل كلها خمسين او ستين مليون جنيه

وقيسوا على ذلك سائر الدول التي تزيد قيمة وارداتها على صادراتها وهي مع ذلك ناجحة

اما القطر المصري فليس لرجالهِ معاشات من الممالك الاجنبية ولا لهم اموال يستثمرونها في الهند والصين وروسيا وفرنسا وما اشبه ولا لهم سفن تجارية تكتسب من نقل بضائع الامم الاخرى وليس فيهِ معادن ذهب يخرج الذهب منها ويضاف الى ايرادهِ الداخلي . وهو لا يفرق عن زارع مديون عندهُ اطيان يزرعها و يستغلها فيأ كل بعض محصولاتها هو واولادهُ ومواشيهِ ويبيع البعض الآخر ويشتري بثمنهِ ثيابًا لهُ ولاولادهِ من منشستر وليون وفحمًا من نيوكسل وكارديف وزيتًا من روسيا واميركا ولحمًا من غنم تجيء من بر الاناضول وفاكهة يؤتى بها من سورية وبلاد اليونان ويدفع فوق ذلك فائدة ديونهِ لاصحاب هذه الديون من الفرنسويين والانكليز والالمانيين والروسيين وفوق الكل مال الويركو للدولة العلية او لمدانيها وليس لهُ مصدر آخر للايراد الاَّ مصدر واحد وهو السياح الذين يأْتون الى هذا القطر كل سنة ويصرفون فيهِ نحو نصف مليون جنيه تضاف الى ثمن البضائع الصادرة منهُ . فاذا لم يزد المال الذي يحق لهُ قبضهُ كل سنة ثمن صادراتهِ على المال الذي يجب عليهِ دفعهُ كل سنة ثمن وارداتهِ وفائدة ديونهِ فهو غير سائر في طريق الغني

وخلاصة الكلام ان البلاد تغتني اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يُدفع لها من الخارج ربحًا لاعمالها واموالها تزيد على قيمة وارداتها وعلى كل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها . وتفتقر اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يدفع اليها من الخارج ربحًا لاعمالها واموالها اقل من قيمة وارداتها وكل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها . واذا كان الذين اطلعتم على بحثهم من الانكليز لا يعتبرون هذه الامور كلها التي اعتبرناها فهم مخطئون

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

واجبات المرأة

قال السر جون مورلي من كبار فلاسفة الانكليز ووزرائهم في خطبة القاها دفاعاً عن المرأة وتأييداً للائحة التي عرضت على مجلس النواب حديثاً وطلب فيها حلٌّ بعض القيود التي تربطها " ان قليلين يعتقدون الآن ان عمل النساء الرئيسي ادارة شؤون المطبخ وتربية الاولاد . فان الواقع يناقض هذا الاعتقاد الدنيء " وقد كتبت سيدة انكليزية مقالة في مجلة القرن التاسع عشر استشهدت فيها بهذا القول ثم اردفتهُ بما يفهم منهُ ان الاعتقاد المذكور لا يستلزم الحطَّ من قدر المرأة . وقالت ان امبراطور المانيا حصر واجبات المرأة في ثلاث كلمات وهي " الاولاد والطبخ والكنيسة " فانكر البعض عليهِ ذلك اما انا فلست ارى فيهِ نكراً بل اوافق عليهِ كلَّ الموافقة علماً مني بانهُ ليس في السماء ولا في الارض ولا تحت الارض موضوع لا ينطوي تحت كلمة من هذه الكلمات الثلاث ولايضاح ذلك ابحث في كلٍّ منها على حدة فاقول

(١) الاولاد . اين تبتدئ دائرة اختصاصهم واين تنتهي . واذا عرف احد كلَّ ما يتعلق بالولد مثل ولادتهِ ونموّهِ وصحتهِ وارتقائهِ العقلي والادبي والروحاني والجثماني وعملهِ ولعبهِ وما اشبه فما هو الذي يجهلهُ ذلك الانسان وايُّ منصب في الارض لا يصلح لهُ سواء كان ذكراً او انثى

(٢) الطبخ . هل دائرة الطبخ محدودة . ان العقل ليقصر دون حصر العلوم التي تتعلق بطعام الانسان مثل علم المواد الطبية والنبات والحيوان والمعادن والرياضيات والطبيعيات والمواضيع المتعددة مثل التجارة والصادرات والواردات والضرائب وغيرها. وآخر ما يذكر منها وان لم يكن اقلها اهميةً طبع الرجال (١)

---

(١) اشارة الى ما هو معروف من انهُ اذا كان الطعام انيقاً لذيذاً ظهرت على الرجال علائم الرضى والسرور والاَّ تبدَّل رضاهم سخطاً وسرورهم غماً

(٣) الكنيسة . يدخل تحت هذا الباب السعي في المحافظة على المعتقد ومعرفة علاقة الكنيسة بالحكومة وما شاكل ذلك

فهذه الامور المذكورة ليست مما يستهان بهِ ويترك للنساء لانهنَّ يعجزن عما هو اسمى منهُ . كلاَّ بل انهُ لو قبل النساء تحمُّل المسأُولية في الدين وتربية الاولاد واعداد الطعام ووقفن انفسهنَّ على انجاز اعمالهنَّ هذه طبقًا لاساس اقتصاديّ صحيح لانقلب العالم عما هو عليهِ واصبح جنة الله في ارضهِ

تربية الاولاد

الانسان مجموع اخلاق تغرسها يد الفطرة وتسقيها يد التربية . قال امرسون ان الفضائل كلها طبيعية في الطفل الحسن الجسم والعقل لامكتسبة يعسر عليهِ اكتسابها . واذا كانت اخلاق الوالدين صحيحة وكانوا يعلمون شرف مركزهم ويشعرون بمسأُوليتهِ سهل تعليم اولادهم وتهذيبهم المدرسي فيما بعد لان الولد متعلق بوالديهِ كل التعلق لايستطيع اختيار الوسط الذي يجب ان يعيش فيهِ . فاذا اهملاهُ فلا لوم عليهِ اذا نشأ عنيدًا لايكرمهما ولا يطيع لهما امرًا بل كل اللوم عليهما

هذا وان نمو الولد سريع من كل جهة فاذا بلغ السابعة من سنهِ بلغ طول قامتهِ نصف ما نصير اليهِ بعد البلوغ وثقل بدنهِ ثلث ما يصير اليهِ بعد البلوغ . ولا بد لتثقيف اخلاقهِ وتكميل رجوليتهِ من احاطتهِ صغيرًا بكل ما يسمو بالنفس الى مراتب الكمال . واحسن وسط ينشأُ فيهِ بيت اساسهُ المحبة ونورهُ الحكمة واعضاؤُهُ الطهارة والوفاق وسمو التهذيب . وذلك يتأتى متى عرف الوالدون واجباتهم وطبيعة ولدهم ليتمكنوا من القيام بحاجاتهِ البدنية والعقلية والادبية . وليس الوسط الصحيح منزلاً خيم الفقر المدقع على ساكنيهِ فقضى على ما في نفوسهم من المواهب السامية ولا هو منزلاً بسط اليسار عليهِ ظلهُ فحول قلوب ساكنيهِ عن واجبات الحياة الحقيقية الى الزهو واللهو والغرور الباطل ولا هو منزلاً يعدُّ قضاء الملذات وشهوات النفس فيهِ غاية الغايات

قال الفيلسوف سبنسر في الكلام على جهل الوالدين لواجباتهم نحو اولادهم ما يأتي وقولهُ حجة

" لو ان الايام كرَّت بنا ودالت وعفت رياح الدهر كل اثر لنا ولم تبقِ منا الاَّ عرمة من الكتب التي يدرسها اولادنا في المدارس الآن لحار فيها الاثريون اللاحقون اذ لايرون هناك دليلاً يدل على ان الاولاد الذين درسوا تلك الكتب كان ينتظر ان يصيروا رجالاً ذوي

اولاد فيما بعد . ولقال اولئك الاثريون في انفسهم " لعل هذه الكتب خصت بالذين كانوا عازمين على البقاء عزباً . فاننا نرى فيها ما يدل على ما كان لهم من الاهتمام بمطالعة كتب الاولين كأَن لم يكن عندهم مواضيع يهتمون بها . ولا نرى فيها اشارة الى تهذيب الاولاد وتربيتهم وذلك هو الحمق بعينهِ الأَّ ان تكون هذه الكتب مما يدرسها رهبانهم في اديرتهم "

" أَليس من العجب العجاب ان لا يعلَّم الاولاد شيئاً عن التربية وهم سيصيرون رجالاً ذوي اولاد وعلى التربية يتوقف موتهم او حياتهم شقاؤُهم الادبي او سعادتهم . أَو ليس من الفظاعة ان يترك حظُّ الجيل الجديد للأَقدار تتقاذفهُ التقاليد السقيمة والتصورات الصبيانية والخرافات العجائزية كيف شاءت . فاذا شرع رجل في التجارة وهو لا يعرف شيئاً من الحساب ومسك الدفاتر قلنا يا لهُ من جاهل يخرب بيتهُ بيدهِ ويسعى الى حتفهِ بظلفهِ . واذا شرع تلميذ ممن لا يزالون يدرسون التشريح في عمل العمليات الجراحية ادهشنا تهوُّرهُ ورحمنا على مرضاهُ سلفاً . اما الوالدون فانهم يشرعون في تربية اولادهم وهم لا يعلمون حرفاً من اصول تربيتهم الطبيعية والادبية والعقلية ومع ذلك لا يدهشنا عملهم هذا ولا نشفق على اولادهم

" اضف الى عشرات الالوف الذين يقتلون مئات الالوف الذين يعيشون عجافاً ضعافاً وملايين الذين ينشأُون وبنيتهم دون ما يجب ان تكون ترَ بعض ما يجرُّهُ الوالدون على اولادهم من الشقاء والبلاء لجهلهم قواعد الحياة . وفكّر ولو قليلاً في القواعد التي تسنُّ للاولاد ليجروا عليها سواءٌ كان ذلك في امر طعامهم او غيرهِ وانها كلها سائرة بهم اما في طريق السلامة او في طريق الندامة وان هناك عشرين طريقاً للشرّ مقابل طريق واحد للخير تُدرِكْ بعض ما تجرُّهُ النظامات الجارية من الضرر العظيم في كلّ مكان

" وقد اعتاد الوالدون الذين يولد لهم اولاد نحاف البنية ان ينسبوا ذلك الى الاقدار ويدَّعوا ان مصائبهم هذه بلا سبب او ان سببها في علم الله . وليس ذلك بصحيح . ففي بعض الحالات تكون الاسباب وراثية ولكن الغالب ان يكون السبب من سوء تصرُّف الوالدين والوالدون هم المسؤُولون غالباً عما ينال اولادهم من الأَلم والضعف والنكد والبلوى فقد تكفلوا بالقيام عليهم ولكنهم اهملوا تعلم شيءٍ عنهم وعن ابسط القواعد الصحية التي يجب ان ينشئوهم عليها فقوَّضوا بنيان ابدانهم واورثوا اعقابهم المرض والموت العاجل "

اسراف الاميركيات

كتب المستر كليفلند موفات مقالة في احدى الجرائد الانكليزية عنوانها " انفاق المال في غير موضعهِ عار " وأَطال في بيان ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك من النفقات الباهظة على

ملابسهنَّ . فقامت قيامتهنَّ عليهِ مدعيات انهُ بالغ في تقديرهِ ونسبة الاسراف اليهنَّ . فكتب مقالة اخرى قال فيها انهُ ان كان قد اخطأ في تقديرهِ فخطاؤُهُ في جانب القلة لا الكثرة . فقد قال مثلاً ان بعض نساء نيويورك يشترين جبة فرو السمور بمبلغ ١٢٠٠ جنيه وكان يظنُّ انهُ مبلغ فاحش ولكنهُ علم فيما بعد انهُ معتدل بالنسبة الى ما تباع جبة الفرو بهِ في بعض المخازن الكبيرة فان الجبة المتوسطة تباع بالفي جنيه . وسأل عن ثمن الفرو العال فقيل لهُ ان ثمنهُ قبل خياطتهِ ١١٠ جنيهات عادة اي ان ثمن البوصة المربعة جنيهان وثمن الجبة المبطنة بهِ التي لا يزيد طولها على متر ٦٦٠٠ جنيه والطويلة التي تصل الى القدمين ٨٨٠٠ جنيه

وكان قد قدَّر في مقالتهِ الاولى ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك على ملابسهنَّ وزينتهنَّ بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه في السنة فرأى فيما بعد ان ليس في ذلك شيءٌ من المبالغة لاسيما وقد علم ان الواحدة منهنَّ تدفع عشرة آلاف جنيه ثمن فرو يلبس حول العنق وآخر لليدين

وقال ان الواحدة تنفق مئتي جنيه على مشتري ثوب خاصٍ بالرقص ولكنهُ علم فيما بعد ان دنتلا ثوب للعرس اشتري بثلاث مئة جنيه وان "قماش" ثوب آخر اشتري بمبلغ ١٦٠٠ جنيه قبل خياطتهِ . وان ثمن "البياضات" بلغ ٦٦٠٠ جنيه

ثم اورد قائمة بالنفقات التي ينفقها كثير من النساء الاميركيات على ملابسهنَّ وزينتهنَّ في السنة فظهر منها ان متوسط ما تنفقهُ الواحدة ٧٧٠٠ جنيه

ويقال بالاختصار ان ٦٠٠٠ امرأة من نساء نيويورك الغنيات ينفقن كلَّ سنة ثمانية ملايين جنيه على ملابسهنَّ وزينتهنَّ . وفي الولايات المتحدة عشرة آلاف امرأة من الغنيات يستطعن اقتصاد ٦ ملايين جنيه على القليل كل سنة لتنفق على الفقراء والمساكين لو خفضت كلٌّ منهنَّ نفقات ملابسها الى ٦٠٠ جنيه

ومن رأي الكاتب ان النساء لا يتأنقن في الملابس ارضاءً للرجال واستجلاباً لهم بل ارضاءً لانفسهنَّ . والَّا فلو كنَّ يفعلن ذلك استجلاباً للازواج لما كانت المتزوجات منهنَّ اكثرهنَّ اسرافاً على الملابس كما هي الحال . قال واتفق اني نزلت مرة في احد فنادق نيويورك البسيطة . فكنا اذا جلسنا لتناول الطعام جلس قربي رجل وامرأتهُ فلحظت انها كانت تبدّل كلَّ يوم حلَّةً وان الحلَّة الجديدة افخر من التي قبلها حتى مضى اسبوع فقلت في نفسي لابدَّ ان تكون جعبة ملابسها قد فرغت فتعود الى الاولى فالثانية وهلمَّ جرَّا . ولكنها بقيت تلبس كلَّ مساءٍ ثوباً جديداً مدة وجودي في الفندق واظنها لبست في تلك المدة ثلاثين ثوباً من الملابس الفاخرة . انتهى

هذا وإسراف الاغنياء على هذه الصورة امر لا بدَّ منهُ والاَّ تجمعت الاموال عندهم ووقفت حركة التجارة · ومنشأُ الضرر ليس في هذا الاسراف بل في النظام المالي المتَّبع في الدنيا اي في تقويم اعمال الناس العقلية والبدنية بالمال فيحتال سمسار حيلة لا تكلفهُ الاَّ تشغيل فكرهِ ساعة من الزمان فيكتسب بها مئة الف جنيه ويشتغل عالم عشرين سنة في تحقيق قضية علمية مفيدة فلا يكسب منها عشرة جنيهات فتكون المئة الف جنيه ثمن الساعة من شغل السمسار والعشرة الجنيهات ثمن العشرين سنة من شغل العالم · ولكن لا سبيل لابدال هذا النظام بغيرهِ

باب الزراعة

السماد الكيماوي

شاع الآن استعمال السماد الكيماوي وقد استعملهُ كثيرون من ارباب الزراعة في العامين الماضيين وزاد استعمالهُ هذا العام · ولم نرَ لغير الجمعية الزراعية الخديوية كلاماً عن نتيجة استعمالهِ لكن الذين استعملوهُ في السنة الماضية ثم استعملوهُ هذه السنة يدلُّ استعمالهم لهُ سنة بعد سنة على انهم رأَوا منهُ فائدة تزيد على ثمنهِ ونفقات استعمالهِ والاَّ فلا يعقل انهم يدفعون مئات الجنيهات لكي يقال انهم استعملوا سماداً كيماوياً

والاسمدة الكيماوية التي شاع استعمالها الآن لتسميد الحنطة والقطن ثلاثة وهي اعلى فصفات الجير وكبريتات الامونيا ونيترات الصودا · ومرادنا ان نشرح كلاً منهما بالتفصيل

اعلى فصفات الجير

عُرف من قديم الزمان ان العظام تفيد الزراعة ولا سيما اذا طحنت ومزج التراب بها والمادة المهمة في العظام هي فصفات الجير لكن الفصفات عسر الذوبان جدًّا فصاروا يعالجون العظام بالوسائط الكيماوية لجعلهِ سهل الذوبان ثم اكتشفوا تراباً في الارض مؤلفاً من الفصفات القابل الذوبان فاستعملوهُ بدل العظام ونتج منهُ نفع كبير للزراعة · وهو في الاصل حجارة بنية اللون او رمادية فيسحق حتى يصير مسحوقاً ناعماً ويرد الى هذا القطر كذلك او يسحق فيهِ من حجارة فصفاتية وجدت في هذا القطر

وانواع الفصفات الطبيعي كثيرة مختلفة في مقدار النفع الناتج منها للزراعة فقد حلَّل بعضهم ثلاثة انواع من اعلى فصفات الجير فوجد ان في الطن من النوع الاول ما يساوي ٤ جنيهات ومن النوع الثاني ما يساوي اربعة جنيهات ونصف جنيه ومن النوع الثالث ما يساوي تسعة جنيهات وربع جنيه مع ان الطن من النوع الاول كان يباع بسبعة جنيهات ونصف ومن النوع الثاني بسبعة جنيهات وربع ومن النوع الثالث بثمانية جنيهات ولذلك لا يحسن باحد ان يشتري سماداً كيماويًّا ما لم يتأكد ان احد الكيماويين الموثوق بعلمهم وذمتهم حللهُ وعرف مقدار ما فيهِ من النفع للمزروعات

والفصفات الاعلى يفيد زراعة النباتات ذوات الجذور خاصةً كالجزَر واللفت وبعض الحبوب كالشعير ولاسيما اذا تأخرت زراعتهُ . ولا يفيد الفصفات ولا غيرهُ من الاسمدة ما لم تكن الارض محتاجة اليهِ فاذا كانت غنية بهِ او بالعناصر المهمة التي فيهِ فلا فائدة لها منهُ بل تكون اضافتهُ اليها من قبيل العبث

والمقدار اللازم للفدان الواحد نحو تسعين كيلو اي ان الطن من الفصفات يكفي لتسميد عشرة افدنة او احد عشر فدانًا

كبريتات الامونيا

يستخرج من السوائل الباقية بعد استخراج غاز الضوء من الفحم الحجري وهو سهل الذوبان في الماء تسمد الارض بهِ فيضاف اربعون كيلو منهُ الى الفدان وكان المستخرج منهُ من البلاد الانكليزية سنة ١٨٩٠ نحو ١٤٠٠٠٠ طن ومن المانيا ١٠٠٠٠ طن ومن فرنسا ١٢٥٠٠ طن ومن هولندا وبلجكا ٣٠٠٠ طن ومن الولايات المتحدة ١١٠٠٠ طن

نيترات الصودا

ملح يؤتى بهِ من بلاد بيرو وثمن الطن منهُ من ١٣ جنيهًا الى ١٦ جنيهًا وهو سريع الذوبان في الماء ويفيد الحبوب جدًّا كالقمح ونحوهِ والقنطار المصري منهُ يكفي الفدان وتظهر فائدتهُ حالاً بشدة اخضرار ورق النبات بعد استعمالهِ بايام قليلة والغالب ان تزيد بهِ غلة الفدان اردبين او اكثر

تربية العجول

مدة حمل البقر ٢٨٥ يومًا فان ولدت قبل ذلك فالمولود عجلة وان ولدت بعد ذلك فالمولد عجل هذا هو الغالب . واصلح الاوقات لولادة العجول بداءة فصل الربيع . ويترك العجل بعد

ولادتهِ ليرضع من امهِ او يفصل عنها ويسقى اللبن فاذا ترك مع امهِ فلبنها يزيد عليهِ كثيرًا اذا كانت كثيرة الدر يكفي خمسة عجول في السنة الواحدة فترضع اولاً عجلين ومتى فطما بعد ثلاثة اشهر ترضع عجلين آخرين ثم يفطمان بعد ثلاثة اشهر ويكون لبنها قد قلَّ حينئذٍ فترضع عجلاً واحدًا . او يقتصر على ارضاع عجلها فقط ويحلب بقية لبنها وهو الشائع

واذا فصل العجل عن امهِ حالاً بعد ولادتهِ يوضع على التبن الجاف ويمسح بدنهُ جيدًا حتى يجف ويسقى رطلاً من اللبن او اللبن الذي يحلب من البقرة حال ولادتها وهو كثيف نوعًا ومسهل لتفرز بهِ المواد التي تكون مجتمعة في اسفل امعاء العجل . ولا بد من ان يسقى اللبن في اليوم الاول كل اربع ساعات او خمس وفي الايام التالية يسقى ثلاث مرات كل يوم الى آخر الاسبوع الاول وبعد ذلك يصير يسقى مرتين كل يوم ويكون مقدار طعامهِ هكذا

	في الصباح	الظهر	المساء
اليوم الثاني	رطلان	رطلان	ثلاثة ارطال
" الثالث	٣ ارطال	٣ ارطال	٤ "
" الرابع	٤ "	رطلان	٤ ،
" الخامس	٤ "	"	٤ "
، السادس	٥ "	"	٥ "
" السابع	٥ "	"	٥ "
" الثامن	٦ "	.	٦ "
" التاسع	٦ "	.	٦ "

ومن اليوم العاشر فصاعدًا الى آخر الشهر الاول ثمانية ارطال في الصباح وثمانية في المساء وفي الشهر الثاني ثمانية ارطال من اللبن البائت في الصباح وثمانية في المساء وكذا في الشهر الثالث ثم يفطم

زراعة الكمأة

الكمءُ نبات فطري لا ورق لهُ ولا ساق ولكن لهُ اصل مستدير كالقلقاس يؤكل نيئًا ومطبوخًا يتولد في الارض من نفسهِ اي من بزور تكون في الارض ويمكن ان يزرع زرعًا وقد اكتشف عالمان ايطاليان طريقة لمزج الارض بجراثيمهِ بحيث يتولد فيها من نفسهِ عامًا بعد عام من غير ان يزرع جديدًا اي انهما ماثلا الطبيعة في ذلك . والارض التي يتولد فيها كذلك

تكون حراجًا من شجر السنديان فيتولد بين جذور كل شجرة منها نحو عشرة كيلوغرامات من الكمأة في السنة تباع بنحو عشرين ريالاً

وفي طرابلس الغرب نوع من الكمأة يزرع فيها كالبطاطس ويكبر حتى يصير كالبرتقال حجمًا فيقلع ويجفف ويستعملهُ الناس زادًا وهم يقطعون القفار ويمكن سلقهُ بالماء او طبخهُ بلبن النوق وهو طعام جيد

باب التقريظ والانتقاد

كتاب نجدة اليراع

للاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني فضل كبير على طلاَّب العربية بمؤلفاتهِ الكثيرة من قاموسهِ اقرب الموارد الى المقالات التي ينشرها في المقتطف وغيرهِ من المجلات . وقد اتحفنا الآن بكتاب سماهُ "نجدة اليراع" قال في مقدمتهِ انهُ رأى الالوف من ناشئة العصر يتورَّدون موارد الفصاحة ويتشوَّق كلٌّ منهم ان يكون لهُ في حلبة الكتابة سبق الرجاحة وان يلبي اليراع خاطرهُ تلبية السماحة . وقام في نفوسٍ نزاع الى ركض قرائحهم في هذا المضمار وتلظَّت في افئدةٍ لواعج وجد لنيل هذه الاوطار فهالهم قصاء الطريق ووعورتهُ على ما هنالك من جذب المناجع وكدورة المصانع . فانبرت بهِ النخوة الادبية الى نشر كتاب يردُّ المعدَمَ من الادباء غنيًّا والملتاح مستوفيًا ريًّا . ويفتح لمن يشتهي نشر المقالات في الجرائد ابواب البلاغه ويهيئُ للقلم في كل باب مساغه وقسمهُ الى ثلاثة اجزاء الاول يحتوي فقرًا للبلغاء في اكثر ابواب الكتابة ومعظمها ممَّا جمعهُ القيرواني والثاني في المتضادات والثالث في القيود والامثال . وقد نشر الجزء الاول منهُ فاذا بهِ روضة غناء ادواحها فصول مختلفة المواضيع حافلة بعبارات منتقاة من اقوال البلغاء كانها الدر النظيم كقولهِ في التقى والزهد فلان عذب المشرب عفُّ المطلب نقيُّ الساحة من المآثم بريءُ الذمة من الجرائم اذا رضي لم يقل غير الصدق واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق يرجع الى نفسٍ امَّارة بالخير بعيدة عن الشر مدلولة على سبيل البر . وقولهِ في طلوع الشمس بدا حاجب الشمس كشفت قناعها نشرت شعاعها ارتفع سرادقها اضاءت مشارقها . القت الغزالة لعابها وضربت الضحى اطنابها الخ

والكتاب كلهُ على هذا النمط وقد الحقهُ بمعجم يفسر ما فيهِ من الغريب وجعل ثمنهُ زهيدًا جدًّا تسهيلاً لاقتنائهِ على الطلاب

مدينة مصر

حاضرها ومستقبلها

كتب حضرة المسيو توسان كانيري من موظفي نظارة الاشغال سابقًا مقالة بالفرنسوية في مدينة مصر وحاضرها ومستقبلها وانشاء بلدية لها . وقد ترجمت الى العربية ونشرت هي وترجمتها في كراس واحد بالعنوان المتقدم فتصفحناهُ فاذا الكاتب يرى وجوب انشاء بلدية لمصر لما في انشاء البلدية من المنافع التي لاتنال الاَّ بها

قال" ولقد كانت المدة التي قضيتها في خدمة الحكومة بقسم المباني في ديوان نظارة الاشغال وهي اثنتان وعشرون سنة سببًا في التأكد من ان الاعمال التي تفتقر اليها مدينة كبيرة مثل مصر لا بدَّ لها من نظام يهمهُ مباشرة الصالح العام فان الحالة الجاري السير عليها الآن لاتفي بالاحتياجات العديدة الواسعة في مدينة مصر ولم تكن رومية في عهد الرومانيين الاَّ قائمة بنظام البلدية . قال جيزو ان البلدية اساس الهيئة الاجتماعية فهي الواسطة الوحيدة لافادة السكان"

ثم ابان الفوائد التي تنشأُ عن البلدية مثل زيادة الاهتمام بانشاء المصارف العمومية وتنظيف الشوارع وفتح الشوارع الواسعة وما اشبه ذلك من المسائل التي تتعلق بالبلديات الى ان قال " ان كل جهة متمدنة من المعمورة يقيم فيها اهلها تراهم يتولون ادارة شؤُون انفسهم بحسب احتياجات مصالحهم . فليس من داع لترك العاصمة في حالتها الحاضرة التي لاترضي"

شرح ديوان الحماسة

ديوان الحماسة كتاب مشهور جمعهُ ابو تمام حبيب بن اوس الطائي المتوفَّى سنة ٢٣١ للهجرة . قال في كشف الظنون " ان ابا تمام قصد عبد الله بن طاهر بخراسان فمدحهُ فاجازهُ وعاد يريد العراق فلما دخل همذان اغتنمهُ ابو الوفاء ابن سلمة فانزلهُ واكرمهُ واصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغمَّ ابا تمام ذلك وسرَّ ابا الوفاء فاحضر لهُ خزانة كتبهِ فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات فبقي الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون بهِ حتى تغيرت احوالهم وورد ابو العواذل همذان من دنيور فظفر بهِ

وحملهُ الى اصبهان فاقبل ادباؤُها عليهِ ورفضوا ما عداهُ من الكتب في معناهُ . ثم شاع واشتهر وقد فسرهُ جماعة فمنهم من عني بذكر اعرابهِ ومنهم من عني بالمعاني فممن شرحهُ ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفي سنة ٣٩٥ وابو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢" وهكذا الى ثمانية عشر شرحًا وفي جملتها الشرح الوافي لابي زكريا الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ وقد طبع هذا الشرح في مدينة بن بالمانيا سنة ١٨٢٨ طبعهُ العلامة فريتغ والحق بهِ اربعة فهارس جمع في الاول منها اسماء الشعراء وغيرهم الواردة في الكتاب مرتبة على حروف المعجم واماكن ورودها في الكتاب . وفي الثاني اسماء المواضع والبقاع الواردة فيهِ وفي الثالث الالفاظ اللغوية والاعلام المفسرة في الشرح وفي الرابع قوافي الاشعار ذلك كلهُ لكي يتيسر الاهتداء الى اي شيء اريد في الشرح

وقد اختصر هذا الشرح الآن حضرة الفاضل الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي مقابلاً اياهُ بشرح آخر من الشروح الكبيرة المطبوعة في بلاد الهند واضاف اليهِ مئة بيت اسقطها التبريزي من شرحهِ فرُدَّت الى نصابها وطبعهُ طبعًا متقنًا جدًّا بالشكل الكامل فجعل الابيات متنًا في اعلى الصفحة وعليها الشرح بحرف دقيق في اسفلها وقد اوجز حيث يجوز الايجاز واسهب حيث يحسن الاسهاب وايضاحًا لذلك نذكر شرح بيت للتبريزي وشرحهُ في هذا الكتاب

قال التبريزي في شرح

انَّا بني نهشلٍ لاندَّعي لابٍ عنهُ ولا هو بالابناء يشرينا

ان كان الشعر للقيسي فالرواية انَّا بني مالكٍ . وانتصاب بني على اضمار فعل كأنهُ قال اذكر بني نهشل وهذا على الاختصاص والمدح. وخبر ان لا ندعي ولو رفع فقال انَّا بنو نهشل على ان يكون خبرًا لكان لاندعي في موضع الحال . والفصل بين ان يكون اختصاصًا وبين ان يكون خبرًا صراحًا هو انهُ لو جعلهُ خبرًا لكان قصدهُ الى تعريف نفسهِ عند المخاطب وكان لايخلو فعلهُ لذلك من خمول فيهم او جهل من عند المخاطب بشأنهم فاذا جعل اختصاصًا فقد امن من الامرين جميعًا وانما قلت خبرًا صراحًا لان لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص لكنهُ يستدل على المراد منهُ بقرائنهِ وعلى هذا قولهُ انا ابو النجمي وشعري شعري . وقولهُ "لاندعي لاب عنهُ" ندَّعي نفتعل وعنهُ تعلق بهِ ويقال ادعى فلان في بني فلان اذا انتسب اليهم وادعى عنهم اذا عدل بنسبهِ عنهم وهذا كقولهِ رغبتُ في كذا ورغبتُ عنهُ . وقولهُ لاب اي من اجل اب ومعناهُ انَّا لا نرغب عن ابينا فننتسب الى غيرهِ وهو لا يرغب عنا قد رضي

كلٌّ منا بصاحبهِ . ويقال شريت الشيء بمعنى بعتهُ واشتريتهُ جميعًا ومنهُ الشروى وهو المثل

اما الشرح الذي اكتفى بهِ حضرة الشيخ صاحب هذا الكتاب فهو

"بني نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعهُ لقال انَّا بنو نهشل . ومعنى لاندعي لاب لانتسب لاب غير ابينا . وقولهُ ولا هو بالابناء يشرينا معناهُ انهُ راضٍ بنا كما نحن راضون بهِ" وقد اسهب احيانًا اكثر من ذلك ولكنهُ اقتصر على ما قلَّ ودلَّ . وحبذا لو الحق هذا الشرح بشرح لاسماء الاعلام الواردة فيهِ اتمامًا للفائدة

الاجوبة المسكتة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي صابر بديوان عموم الاوقاف كتابًا الفهُ وسماهُ "الاجوبة المسكتة" الواردة عن العرب والفلاسفة وغيرهم . قال في تعريف الاجوبة المسكتة نقلاً عن بعضهم "انها اصعب الكلام مركبًا واعزهُ مطلبًا لان صاحبها يعجل مناجاة الفكرة واستعمال القريحة حيث يروم في بديهتهِ نقض ما أبرم القائل في رويتهِ" الخ . ونقل عن الامام عليّ قولهُ "نعم الناصر الجواب الحاضر"

ومما ذكرهُ من الاجوبة المسكتة اللطيفة "ان بعض الاعراب دخل على المأمون فقال يا امير المؤمنين انا رجل من الاعراب الاغراب . قال لا عجب . فقال اني اريد الحج . قال الطريق واسعة . فقال ليس معي نفقة . قال قد سقط عنك الحج . فقال ايها الامير جئتك مستجديًا لا مستفتيًا"

وقد ذيّل الكتاب بتراجم اشهر فلاسفة اليونان القدماء الذين نقل بعض الاجوبة المسكتة عنهم مثل سقراط وافلاطون وارسطو فنشكرهُ على هديتهِ ونثني على اجتهادهِ

الهدية العصرية الى الجامعة الوطنية

وقفنا على هذا الكتيب لحضرة مؤلفهِ الاديب سليمان افندي مصوبع المحامي وهو مجموع مقالات نشرها في بعض الجرائد ثم ضمها معًا فيهِ فمن مواضيع هذه المقالات العمران والمحاماة ومسأولية الانسان وادوار الحياة ومدنية البشر وما اشبه من المواضيع الادبية الاجتماعية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر [illegible] لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) واضع حروف الهجاء

عطا افندي فهمي بدائرة والدة خديوي

مَن الذي وضع الحروف العربيَّة وكيف حصل ذلك

ج لا يُعلم مَن وضع الحروف العربيَّة . وقد كان اهل حمير يكتبون لغتهم المشابهة للعربية بحروف منفصلة صورناها في الجزء الاول من المقتطف الصادر منذ ثلاثين سنة وكان عرب غسان يكتبون بحروف شبيهة بالكتابة العربية المستعملة الآن وذلك قبل التاريخ الهجري . ويظهر من بعض الروايات ان العرب ترجموا الانجيل والزبور الى العربية قبل الهجرة بسنين كثيرة فلا بدَّ من انهم كانوا يكتبون العربية . ولا يعقل ان يكون العرب اتصلوا بالسريان واليهود والروم والقبط من عهد المسيح وهؤُلاء كلهم يكتبون لغاتهم بحروف هجائية والعرب اهل تجارة لا يتعلمون منهم كتابة لغتهم بحروف هجائية . ومتى فتحت بلاد العرب لعلماء العاديات فلا يبعد ان يكتشفوا فيها كتابات قديمة تدلُّ على منشإِ الكتابة العربية فيها

(٢) زيادة حروف الهجاء

ومنهُ . لماذا ترى الحروف العربيَّة لا تقبل الزيادة ولا النقصان

ج انها تقبل الزيادة وقد زيدت فيها حروف البا والثاء والكاف والجيم للتلفظ ببعض الكلمات الاعجميَّة . ولو جارت الزمان واقتصر اصحابها على ما يلفظ منها الآن لاهملوا منها الذال والثاء

(٣) واضع الحروف في باقي اللغات

ومنهُ . مَن وضع الحروف في باقي اللغات

ج يتعذر علينا ان نجيب عن هذا السوال اما اللغات التي كتبت منذ عهد قديم فلا يُعلم مَن وضع حروفها لتوغلها في القدم ولان التاريخ لم يحفظ اسماء واضعي الحروف واما اللغات التي كُتبت حديثًا فالاوربيون والاميركيون الذين دخلوا بلاد اهلها للتبشير وضعوا لها حروفًا لتكب بها وحروفهم رومانية

(٤) بوارج الدول

مصر . احمد افندي سليم . كم عدد البوارج والطرادات عند كل دولة من الدول

ج كان عددها قبل الحرب الحاضرة كما ترون في الجدول التالي

	البوارج من الطبقة الاولى	الطرادات المدرعة
بريطانيا	٥٣	٢٤
فرنسا	٣٠	١٧
روسيا	١٤	٦
المانيا	١٦	٤
ايطاليا	١٤	٦
اميركا	١٢	٦
اليابان	٥	٨

اما بعد الحرب فسفن روسيا غرقت او تعطلت او غنمها اليابانيون وما سلم منها قليل جدًّا . وهذه الدول تبني الآن عددًا كبيرًا من البوارج والطرادات كما ترون في الجدول التالي

	البوارج التي تبنى الآن	الطرادات المدرعة التي تبنى
بريطانيا	٨	٤
فرنسا	٦	٢
روسيا	٥	٤
المانيا	٦	١
ايطاليا	٤	٣
اميركا	١٢	٢
اليابان	٢	

(٥) لغة العيون

بغداد . الخواجه يوسف مسيح . وقفنا على اشتغال بعضهم بابتكار لغة تكون الفاظها حركات العيون بناءً على ان حركة العين تدلُّ على مقصد النفس كما هو معلوم فهل توصَّلوا الى طائل من ذلك

ج لم نقف على شيء من ذلك ولا نظن انهُ يسهل التعبير عن كلمات اللغة بحركات العينين ولكن لا يتعذَّر تعليم الاصم ان يفهم كلام المتكلم من رؤْيتهِ حركات شفتيهِ وهو يتكلم من غير ان يسمع شيئًا وذلك جارٍ الآن فعلاً ثم يعلَّم الاصم ان ينطق فيصير يتكلم كما يتكلم سائر الناس ويفهم الكلام مثلهم ولو لم يسمع شيئًا

(٦) القطف الباكر

مصر . الخواجه ابرهيم سروسي . زرعنا عشر عقد من الكرم في شهر فبراير الماضي . وفي شهر مارس ظهر الورق في بعضها وظهر في احدي العقد قطف من العنب ثم جفَّ في شهر مايو وسقط من غير ان يمسهُ احد ولكن العقدة ما زالت تخضرُّ الى الآن فنرجو ان تخبرونا عن سبب ذلك

ج ان جرثومة الورق والقطف كانت في العقدة ولو بقيت العقد في امها ولم تقطع منها لنما القطف وصار عنقودًا من العنب لان الكرمة التي قُطعت العقدة منها تقدّم لهُ ما يكفيهِ من الغذاء اللازم لهُ لانها كبيرة

وجذورها ضاربة في الارض في مساحة واسعة فتمتص الغذاء منها وترسلهُ الى الاوراق والعناقيد . والغذاء اللازم للعناقيد كثير وفيهِ مواد نيتروجية لازمة للزهر والثمر . اما العقدة التي زرعتموها فالغذاء فيها قليل جدًّا والجذور الصغيرة التي نبتت منها لا تستطيع ان تمتص ما يلزم من الغذاء لنمو العنقود فجفَّ ويبس ووقع . وربما يظهر فيها عناقيد في السنة التالية فيجب قطفها منها ورميها قبلما تكبر لان قوة الكرمة غير كافية لنموها وانماء العناقيد ايضًا فاذا تركت العناقيد عليها اضعفتها وقد تيبسها . ولا تتركوا العناقيد عليها الَّا بعد السنة الرابعة اذا اردتم ان تنمو وتقوى جيدًا

(٧) النور المنعكس

قنا . احد المشتركين . كانت احدى السيدات في ليلة ١٧ ابريل الماضي واقفة في بلكون منزلها المطل على الخلاء فرأت على بعد شيئًا يلمع كلمعان الماس ان لم اقل اشد لمعانًا منهُ وظهر لها حجم المنظر في اولهِ اكبر من نور نجم كبير ثم اخذ نورهُ يتراوح بين ظهور وانكماش مرات متوالية الى حد انهُ صار في الصغر كراس الدبوس ثم تلاشى . ولما كان هذا المنظر غريبًا نادت سيدة اخرى كانت معها في المنزل فرأت الثانية ما رأتهُ الاولى وكانت الثانية ترى والاولى لا تنظر شيئًا . ثم اتت سيدة ثالثة فرأت المنظر والسيدتان الاوليان لا تريانهِ وكانت الساعة ١١ مساءً . وغاية ما عللناهُ انهُ ضرب من دبابات الارض لهُ صدفة براقة كان نور القمر ينعكس عنها فهل هذا التعليل صحيح ولماذا كانت الواحدة تراهُ والثانية لا تعود تراهُ

ج ان تعليلكم قريب من الصحة فان اليوم كان حينئذٍ ١٢ صفر والقمر يقرب ان يكون بدرًا والظاهر ان نورهُ كان ينعكس عن قطعة زجاج او خزف مدهون فراتهُ الاولى وكان يتغير بتحرك رأسها ثم لم تعد تراهُ من موقفها فاتت الثانية ووقفت الى جانبها فراتهُ ولو وقفت مكان الاولى تمامًا لتعذَّرت عليها رؤيتهُ حينئذٍ ثم لم تعد تراهُ لان القمر يسير الى الغرب حسب الظاهر فلا يرى نورهُ المنعكس من مكان واحد الَّا برهة وجيزة ويتضح لكم ذلك من وضعكم مرآة صغيرة على الارض بحيث يقع نور الشمس عليها ووقوفكم في مكان ترون منهُ النور المنعكس عنها فاذا بقيتم في مكانكم دقيقة او دقيقتين لا تعودون ترون النور المنعكس ولكنكم ترونهُ اذا انحرفتم عن مكانكم الى الجهة التي ينحرف اليها النور واذا كانت المرآة صغيرة كانت رؤيتكم لنورها اقصر مدةً

(٨) الزراعة السورية

صيدا ١٠ ع . ز . نراكم تكتبون في باب الزراعة عما يختص بالقطر المصري على انكم تعلمون ان القطر السوري في اشد الحاجة

الى ذلك . ولماذا لا تترجمون كتاباً مفيداً في علم الزراعة وتنشرونهُ تباعاً في مقتطفكم المفيد لتعمَّ الفائدة

ج ان اكثر ما ننشرهُ الآن في باب الزراعة خاص بالقطر المصري لان مشتركي المقتطف فيهِ اضعاف مشتركيهِ في القطر السوري فمصلحتهم مقدمة طبعاً . ولما كان المقتطف ينشر من بيروت وكان مشتركو سورية اكثر من مشتركي مصر كان اكثر ما ننشرهُ في باب الزراعة خاصاً بالقطر السوري وترجمنا حينئذٍ رسائل كثيرة في علم الزراعة وتربية المواشي حتى لا نظن اننا تركنا باباً لم نكتب فيهِ كتابة مسهبة كما يظهر لكم بالمراجعة ولقد كان في نيتنا ان نجمع مما كتبناهُ هناك كتاباً وننقحهُ وننشرهُ ولكننا لم نجد الوقت اللازم لذلك حتى الآن

(٩) الماسونية

ومنهُ . تباينت الاقوال في اسرار الجمعية الماسونية فمن قائل انها لامر يختص بالدين ومن قائل بالسياسة ومن قائل ان المراد بها هدم كل سلطة فما هو غرضها الحقيقي ولماذا تبقي على امور سرية فيها

ج غرضها الحقيقي ان يساعد اعضاؤُها بعضهم بعضاً ولو لم يفعلوا ذلك دائماً . ولما كان جمهور كبير منهم من المتعلمين الذين خلعوا نير التقليد في كل شيء ديناً وسياسة فالباقون يحذون حذوهم في الغالب من معاشرتهم ولكن الماسونية نفسها لا تطلب ذلك ولا تنفيهِ كما ان الجمعيات التجارية والزراعية لا تطلب من اعضائها مطالب دينية ولا سياسية . اما ابقاؤُها علي بعض الاسرار فلكي يعرف اعضاؤُها بعضهم بعضاً في الغربة ويستطيعوا ان يساعد بعضهم بعضاً

(١٠) سبب ارتقاء الغرب

ومنهُ . هل ارتقاء الغرب من الحكومة او من الشعب

ج من الشعب ولكن اتفق ان الحكومة لم تَحُل دون ارتقائهِ فلما ارتقى ارتقت معهُ ولو اتفق ان كان رجال الحكومة معارضين لارتقاء الشعب كما حدث في اسبانيا مثلاً لتأخر ارتقاؤُهُ الى ان يتولاهُ حكام لا يمنعون ارتقاءهُ . فالحكومة قد تفيد وقد تضر وقد لا تفيد ولا تضر فان كان الثاني فالغالب ان الشعب يعجز عن مغالبتها والسير في سبيل الارتقاء وان كان الاول اعتضد بها على الارتقاء كما حدث في بلاد اليابان وان كان الثالث فالارتقاء يجري مجراهُ ولو كان بطيئاً ثم يتغلب على الحكومة فتجري معهُ

(١١) الانكليزية والفرنسوية

ومنهُ . اي اللغتين اسهل الانكليزية او الفرنسوية وكم يقتضي لتعلم كل لغة منهما واتقانها وايهما انفع في القطر المصري وهل لمن يعرفهما او يعرف احداهما فائدة مادية

ج لعلَّ اللغتين متساويتان في السهولة

والصعوبة على ابناء العربية ويختلف الزمن اللازم لتعلم لغة منهما حسب ميل المتعلم الى تعلم اللغات ومقدار اجتهادهِ واسلوب المعلم الذي يعلّمهُ . فقد تكفي لذلك سنتان وقد لاتكفي السنون الطوال والغالب ان اربع سنوات تكفي لاتقان لغة تكلماً وقراءةً وكتابةً اذا درست الدرس الواجب . والانكليزية انفع الآن من الفرنسوية في القطر المصري وقد زاد الاقبال عليها كثيرًا في هذه الايام ولا بدَّ من فائدة مادية من معرفة كل لغة عند من يعرف كيف يجني الفائدة

(١٢) ماء الآبار الارتوازية

ومنهُ . هل ماء الآبار الارتوازية يحتاج الى ترشيح في الزير

ج كلاَّ لانها تكون قد ترشحت في الارض

(١٣) فائدة البيض

ومنهُ . رأيت بعض الاطباء يصف مح البيض دون آحهِ فهل المح اشدّ نفعاً . وقرأت في بعض كتب الطب ان عدم مزجهما معًا مضرٌّ بالكبد فهل لذلك صحة

ج ان في بياض البيض ١٢ في المئة البيومن (زلال) و ٨٦ في المئة ماءٌ وقليل من الاملاح القابلة الذوبان والالبيومن مادة مغذية . وفي صفارهِ نوع من الالبيومن اسمهُ ڤيلتين وزيت اصفر اللون وقليل من الحامض الفصفوريك . والڤيتلين فيهِ ١٦ في المئة والمادة الدهنية ٣٠ في المئة فالمادة المغذية فيهِ ٤٦ في المئة وهي في البياض ١٢ في المئة ولكن الصفار الثلث والبياض الثلثان فاذا حسبنا وزن المادة المغذية في البيض كلهِ بياضهِ وصفارهِ ٧٠ قمحة فاربعة وعشرون منها في البياض و ٤٦ في الصفار وفي الصفار عدا ذلك حامض فصفوريك وهو لازم لبناء الدماغ . والبيض مغذٍّ كلهُ ومن اكثر الاطعمة غذاء ولا نرى وجهًا لما رأيتموهُ في كتب الطب من ان عدم مزجهما مضرٌّ بالكبد

(١٤) الاغتسال بالماء البارد

ومنهُ . هل يصلح الاغتسال بالماء البارد لكل صحيح الجسم قوي البنية وهل يحسن استعمالهُ في كل الفصول وكم هي الكمية التي يلزم استعمالها وفي اي وقت يكون اصلح وهل السباحة في البحر والنهر مضرة

ج نعم يصلح وفي كل الفصول بشرط ان لا يشعر المغتسل ببرد شديد فاذا شعر ببرد شديد فالماءُ البارد يضرهُ ولا ينفعهُ وكلما كان الماءُ كثيرًا كان اصلح وافضل الاوقات الصباح وعلى كل حال لا يحسن الاغتسال بعد الاكل مباشرة والسباحة لا تضرُّ بل تنفع بشرط ان لا يتعب السابح كثيرًا

(١٥) لبس الجوارب

ومنهُ . هل يلزم لبس الجوارب دائماً لمن اعتادها وهل لنزعها تأثير يضر بالعيون حتى لمن نزل من سريرهِ بدونها على سجادة

من صوف

ج كلا لا يلزم لبسها دائماً ولكن لبسها اقرب الى النظافة فاذا اقام الانسان في بيتهِ ورأى ان العادات لا تقضي عليهِ بلبسها فعدم لبسها اصلح لهُ ولا يضرّ ذلك بعينيهِ سواء نزل على سجادة من صوف او على الحصير او على الارض . واذا كان الفصل شتاء فبرد القدمين يتعب ويؤلم وقد يضرّ ايضاً فيلزم اتقاؤُهُ بلبس الجوارب او اعتيادهُ تدريجاً

(١٦) البراغيث

ومنهُ . عما تحدث البراغيث وما طرق استئصالها

ج تبقى بيوضها من سنة الى سنة فتولد منها وتبيض وتخلف وهلمّ جرًّا . والنظافة التامة في البيت وما جاورهُ تقللها او تزيلها ولكن اذا نظف الانسان بيتهُ جيدًا ولم ينظف جيرانهُ وزوّارهُ بيوتهم وثيابهم وابدانهم انصلت البراغيث منها اليهِ

* * *

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يوليو

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الهلال	٢	٧	٥٠	مساء
الربع الاول	٩	٧	٤٦	〃
البدر	١٦	٥	٣٢	〃
الربع الاخير	٢٤	٣	٩	〃

السيارات

عطارد لا يرى في اول الشهر ويكون نجم المساء في آخرهِ

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ

المريخ يرى من الساعة ٢ ١/٢ صباحاً في اول الشهر وبعيد نصف الليل في آخرهِ

المشتري يطلع بعيد الساعة ٢ صباحاً في اول الشهر ونصف الليل في آخرهِ

زحل يرى بعد الساعة ١٠ مساء في اول الشهر والساعة ٨ في آخرهِ

الكسوف المقبل

قررت حكومة الولايات المتحدة ان تعفي من الرسوم النظارات والمرايا والمنشورات والعدسيات وغيرها من الادوات الفلكية التي يأخذها الفلكيون معهم لرصد الكسوف المقبل عند ارجاعها معهم بعد مشاهدة الكسوف . فان القانون يقضي باخذ الرسوم عليها ولكن مدير مرصد لك كتب الى الحكومة يطلب منها اعفاءها من الرسوم لاسيما وان اكثرها صنع خارج الولايات المتحدة

فاخذت الرسوم عليهِ عند ادخالهِ اليها . فاجابتهُ الحكومة انهُ وان كان القانون يقضي باخذ الرسم عليها ثانية الاَّ ان مفعولهُ لا يسري عليها هذه المرة لان الغرض خدمة العلم

وقد حذت حكومة اسبانيا حذوها فقررت اعفاء الآلات التي يحضرها الفلكيون معهم الى اسبانيا لرصد الكسوف فيها

قطن صناعي

جُرِّب عمل القطن الصناعي في بافاريا من خشب الصنوبر ويقال ان التجارب جاءت على ما يرام . وطريقة ذلك انهم ينزعون عن الخشب قشرهُ ويقطعونهُ قددًا رقيقة جدًّا ثخن القدة منها ١/١٦ من البوصة او اقلّ ثم توضع في اسطوانة كبيرة من النحاس موضوعة افقيًّا ومبطنة بالرصاص ويدخل البخار اليها . وبعد ما يتمّ تحليل القدد بالبخار يضاف اليها محلول كبريتيد الصودا وتحمى الاسطوانة تحت ضغط شديد مدة ٣٦ ساعة فيبيض الخشب ثم يغسل ويضغط ويضاف اليهِ كلوريد الكلس لزيادة تبييضهِ ويعالج ايضاً بمزيج من الحامض النتريك والهيدروكلوريك وكلوريد التوتيا ومواد اخرى فتخرج الخيوط منهُ دقيقة متينة يمكن صبغها بجميع الالوان

بحيرة قارون

ظهر من الاكتشافات التي اكتشفها ستون كار في صحراء الفيوم ان بحيرة قارون القديمة كانت تتألف في زمان من الازمان السالفة من سلسلة واحات تمتد الى الشمال الغربي من البحيرة الحالية وعلى بعد نحو ١٥ ميلاً من حدّها واكتشف عددًا كبيرًا من حجارة الرّحى والادوات الصوانية في تلك الناحية وارسل بعضها الى متحف القاهرة

خسارة الحروب

كتب الدكتور لويس الكند مقالة في ”مجلة اميركا الشمالية“ عن الحروب القديمة والحديثة اوضح فيها انهُ كلما زاد السلاح مضاء قلَّ فتكهُ وقال ان حرب منشوريا بما يجري فيها من الفظائع والمجازر الآن ليست شيئًا مذكورًا بالنسبة الى الحروب القديمة التي كان سلاحها السيوف والحراب . فان البندقية الحديثة تقتل على بعد نحو ميلين ولكنها اقلّ فتكًا من بندقية الزناد التي لم تكد تقتل على بعد ٣٠٠ ذراع . وفي المعارك الكبيرة التي جرت بين سنة ١٧٤١ وسنة ١٨٧٨ (ومن ضمنها حرب الدولة العثمانية وروسيا) كان يقع ٢٥ قتيلاً من كلّ مئة رجل يصابون ولكن يؤخذ من احصاءات الحروب الحديثة ان متوسط القتلى في ميادين القتال لم يزد على ١٨ في المئة من المصابين وكان بين ٧ و ١٥ على الغالب

والسبب في ذلك ان الرصاصة الحديثة صغيرة جدًّا حتى ان ٧٩ في المئة من الذين

يصابون بها في ابدانهم ورؤُوسهم لا يموتون وان لم تستخرج منهم كأن لم يصبهم مكروه . وكان معظم سبب الوفيات في الحروب القديمة قذر الجروح وتأخُّر فنّ الجراحة . بخلاف ما هي الحال عليهِ هذه الايام فان عناية الجراحين بالنظافة مشهورة وفن الجراحة بلغ شأواً بعيداً فالجنود اليابانية تغير قمصانها قبل المعركة منعاً لفساد الجروح مما يعلق بالاقمصة من الغبار وما يلوثها من العرق . فكان هذا بعض السبب في قلة الوفيات بين جرحاهم

وتظهر غباوة جرّاحي الايام السالفة من الاعمال التي كانوا يعملونها لمنع فساد الجراح قال احد كبارهم ان البارود يفسد الجروح التي يحدثها لانهُ سمٌّ وان خير الطرق لمعالجة جرح مثل هذا كيُّهُ وصبُّ الزيت المغلي عليهِ . يحكي ان بعض الجراحين كانوا يعملون عمليات الكيّ فوجدوا انهُ لم يبقَ عندهم زيت فذعروا من ذلك وتوقعوا الموت العاجل لجرحاهم ولكنهم رأوا بعد ذلك ان الذين لم يعالجوهم البتة التأمت جروحهم واصبحوا احسن حالاً من الذين اوقعهم سوءُ الطالع تحت ايديهم

قال واطلقت الدول المتحدة (التي اتحدت على بونابرت) ١٢ مليون خرطوشة و ١٧٩ الف قنبلة في معركة لبسك فقتل وجرح من الفرنسويين ٤٨ الف رجل اي ان طلقاً واحداً من كلّ ٢٥٠ اصاب رجلاً . والمشاة يفقدون اكثر كثيراً من الفرسان ولو تعرّض الفرسان لنار حامية. وظهر من تاريخ حروب الروس انهم لم يكونوا ينكسرون حتى يفقدوا ٣٠ الى ٤٥ في المئة من مجموعهم بين قتيل وجريح وذلك دليل على استبسالهم واستقتالهم في القتال. اما في حرب الترنسفال فان الانكليز انهزموا في بعض المعارك ولم يفقدوا سوى ٢ الى ٥ في المئة من مجموعهم . ومتوسط ما يفقدهُ الروس من الضباط بالنسبة الى الجنود في المعارك ٢٨ في المئة وما يفقدهُ الانكليز ١٣ في المئة

الكلاب مكان البوليس

تستخدم ادارة بوليس فلادلفيا الكلاب للتفتيش عن السكارى كما تستخدم كلاب سان برنار للتفتيش عن الذين يهرأهم البرد في جبال الالب . فاذا اقبل الليل خرجت الكلاب الى الازقة والمنعطفات حتى اذا عثرت بسكّير مطروح على الارض عادت الى اقرب بوليس وجرّتهُ الى حيث السكير ملقى ولا تزال ملازمة لهُ حتى ينقلهُ البوليس من مكانهِ

ومن مزايا هذه الكلاب انها تعلم بشبوب النار بقوة شمها الغريبة فتنذر البوليس بالخطر قبل امتداد اللهب . وبينها كلب اهتدى الى خمس نيران قبل تصاعد الدخان منها واهتداء الخفراء اليها بهِ فسلمت بذلك الارواح والاموال من النار

وتستخدم كلاب سان برنار لرد الاولاد الضائعين الى اهلهم . فقد علَّموها انهُ اذا وجد ولد يصرخ بين جمع مزدحم فالغالب ان يكون ضائعاً فتأخذهُ الى نقطة البوليس حيث يرد الى اهلهِ

ثوران يزوف وبيله

ثار بركان يزوف في اواخر الشهر الماضي وقذف مقداراً كبيراً من الحمم والمواد المصهورة في ٢٧ منهُ فسالت مسافة كيلو متر في ساعة واحدة

وثار جبل بيله في المارتينيك في اوائل الشهر فاضاءت قنتهُ بغتة مساء السبت في ١٠ منهُ ثم انشقت صباح الاحد فسال منها مقدار من الوحل الى الوادي وارتفع عمود دخان الى علو ١٥٠٠ ذراع

اقزام هريسن

اتفق المجمع الانثروبولوجي في انكلترا مع الكولونل هريسن على نشر تقرير علمي مستوفٍ عن الاقزام الذين جاء بهم الى انكلترا من افريقية واوصافهم البدنية والعقلية وعين مجلس المجمع لجنة من علماء الانثروبولوجيا والاطباء لهذه الغاية وهم السر جونستن رئيساً والاستاذ ارثر طمسن والدكاترة كيث ورفرس ومري لسلي والاستاذ جولند والمستر جراي والمستر جويس اعضاء

جائزتان

عين الدكتور هنري دي رتشيلد جائزتين الواحدة وهي ٢٠٠ جنيه تعطى السنة القادمة لمن يؤلف احسن كتاب في افضل طعام يطعمهُ الطفل منذ ولادتهِ حتى يبلغ السنتين من عمرهِ . والثانية ١٢٠ جنيهاً تعطى لمن يؤلف احسن كتاب في تقديم اللبن الى اهالي مدينة كبيرة . وتباح الكتابة في هذين الموضوعين لكلّ من شاء بلا استثناء وتقفل المناظرة في غرة يونيو سنة ١٩٠٦

الملوك والرعية امام القانون

لا يجيز القانون الانكليزي للملك اقامة دعوى مدنيَّة على احد من رعيتهِ بل يجيز لهُ اقامة الدعاوى الجنائية . فاذا اقام دعوى جنائية اخذت شهادتهُ كتابة وقرئت في المحكمة لان الملك لا يحضر المحاكم . اما الرعية فيجوز لمن شاء منها ان يقيم دعوى مدنيَّة على الملك وذلك بان يعرض على مجلس الامة ما يسمونهُ “ عريضة الحقوق ” فتحال العريضة على الاعيان المنوط بهم النظر في الامور القضائية في مجلس الاعيان فيقررون ما اذا كانت الدعوى تسمع او تحفظ . ولم يرفع احد من الانكليز دعوى على احد من ملوكهم منذ مئة سنة

اما امبراطور الالمان فلا يجيز لهُ القانون ان يقيم دعوى على احد من رعيتهِ

مدنية كانت او قضائية وكذلك لا يجيز القانون لاحد من الرعية ان يقيم دعوى على الملك غير دعاوي الدَّين وحينئذٍ ترفع العرائض الى ناظر الجيب الخاص

واما ملك ايطاليا فيرافع رعيتهُ وترافعهُ في محكمة خصوصية يدعى الملك نفسهُ اليها لسماع شهادتهِ ولكن يحقُّ لهُ ان يرفض الجواب على ايّ سؤَال يسأَلهُ وكيل المدَّعي

وكذلك قيصر روسيا فانهُ يجوز لايٍّ شاء من رعيتهِ ان يرافعهُ الى المحاكم ولكن لم يجسر احدٌ من الروس ان يقيم دعوى على احد القياصرة منذ زمان طويل

فصول المريخ

كان المستر لويل يرصد المريخ في ٩ ابريل الماضي في مرصد فلاجستاف بالولايات المتحدة فرأى ما يدلُّ على تغير الفصول فيهِ واهمُّ ما رآهُ تغير لون المساحات المعروفة من اخضر مزرقٍ الى اسمر محمر. وطقس المريخ وقت الرصد يقابل طقسنا في شهر فبراير

تجارب جديدة في عمل الماس

جرَّب الاستاذ مواسان تجارب جديدة ليرى تأْثير الكبريت والسلكا والفوصفور في تبلور الكربون فوضع بعض الحديد والسكَّر معاً في بوتقة وصهرهما في اتون كهربائي. فلما أُشبع الحديد المصهور كربوناً من السكَّر وضع معهُ قليلاً من كبريتيد الحديد ثم برَّدت البوتقة فجأَة بتغطيسها في الماء البارد فظهر ان الكربون تبلور ماساً من الداخل وان كبريتيد الحديد زاد تكوُّن البلورات. وكان لابدَّ من تغطيس المذوَّب في الماء البارد فجأَة والاَّ لم يحدث تبلور. وظهر ان السلكا ساعد على التبلور ايضاً واما الفوصفور فلم يؤَثر اقلَّ تأْثير

سباق القوارب

جرى سباق القوارب في ١٧ مايو الماضي بين احد عشر قارباً منها ستة اميركية واربعة انكليزية وواحد الماني بني في انكلترا وميدان السباق من مكان اسمهُ “سندي هوك” في ساحل اميركا الشرقي الى مكان اسمهُ راس “لزرد” في ساحل انكلترا الغربي والمسافة بين المكانين ٣٠٠٠ ميل. وقد تمَّ السباق في اواخر الشهر فكان السابق القارب المسمى “اتلنتك” لرجل اميركي فانهُ قطع تلك المسافة في ١٢ يوماً و ٤ ساعات ودقيقة فبلغ راس “لزرد” في ٢٩ مايو الساعة ٩ والدقيقة ١٦ ليلاً. فنال الجائزة وهي كأْس من الفضة عينها امبراطور المانيا لهذه الغاية

وتلاهُ القارب همبرج لشركة المانية فانهُ بلغ آخر السباق في ٣٠ مايو الساعة ٧ والدقيقة ٢٢ مساءً ثم القارب “ڤلهلا” وصاحبهُ ارل كروفورد الانكليزي فانهُ بلغ غايتهُ في ٣١ مايو الساعة ٨ والدقيقة ٨ مساءً

ثم تلت القوارب الاخرى بين متقدم ومتأخر

ويظهر من كلام الجرائد الاميركية عن الاستعداد للسباق ان النتيجة كانت طبق المنتظر فان الاكثرين كانوا يقدرون السبق للقارب "اتلنتك" الاميركي ويحلون القارب "همبرج" محلاً ثانياً فجاء تقديرهم مطابقاً للواقع

معروضات عثمانية صناعية زراعية

جاءنا منشور بالعنوان المتقدم من الشوير في لبنان مؤرخ في ٢٥ ايار (مايو) سنة ١٩٠٥ وممضي بامضاء حضرة الوجيهين فارس افندي مشرق الرحباني رئيس شركة المعروضات وداود افندي سليمان مجاعص الكاتب . وقد وجها الخطاب فيهِ "الى ابناء الوطن الكرام" وأبانا ما ألمّ بجبل لبنان من الخسارة الاجتماعية اثر مهاجرة شبانه الى البلدان الاجنبية قصد الاتجار ثم قالا "ولذا فقد رأت شركة عثمانية وطنية ان تبدأ في مشروع يوقف تيار المهاجرة الهائل وذلك بان تسعى الى تحسين مصالحنا الثلث (الصناعة والزراعة والتجارة) عن طريق "محل للمعروضات العثمانية الوطنية" يجري فيهِ التنافس بالمصنوعات والمزروعات وتلقى النصائح والخطب اللازمة في الصناعة والزراعة حتى اذا تمّ ما نريد وصار في امكان صنائعنا منافسة الصنائع الاجنبية تألفت شركة تجارية لتصديرها الى الخارج فتكون الحياة الاقتصادية عن هذا الطريق اعز واوفى ولنا في همم اخواننا المهاجرين اكبر شفيع بالرواج في البلاد القاصية "

وذكرا ان صاحب الدولة مظفر باشا متصرف جبل لبنان اظهر ارتياحهُ الى هذا المشروع فحثّ مأموري الجبل على تعضيدهِ بتشويق الاهالي الى الاقبال عليهِ وعرض معروضاتهم الصناعية والزراعية في المعرض الذي يقام في محلّة "مرحاتا" بظهور الشوير في غرة شهر آب (اغسطس) المقبل . وقد خُصّص هذا المعرض لعرض المصنوعات الوطنية من جميع الاجناس والفواكه والخضر والبقول . وفي المنشور ان الشركة عينت جوائز نقدية للعارضين وان مدة المعرض لاتتجاوز ٣٠ يوماً

ولا ريب ان الفكرة حميدة يدعو لها كلُّ محبٍ لوطنهِ بالنجاح فعسى ان نرى من همة اصحابها ما يحقق هذه الامنية فلا يذهب سعيهم فيها سدًى

اصلاح غلط

في الصورة الاولى من صدر الجزء السادس "ترى بعض العلماء" صوابها "ترى بعين العلماء" . "وكوكبة الجبار" صوابها "كوكبة الجاثي"

وصفحة ٧٧ من الرواية السطر ١٨ بهية صوابها حليمة

فهرس الجزء السابع من المجلد الثلاثين

٥٠٥ اقزام افريقية (مصوَّرة)
٥١٣ طول العمر
٥١٨ القطران وما يستخرج منهُ
٥٢١ محمد علي باشا (مصوَّرة)
٥٣٢ هل يسود السلام
٥٣٧ التهذيب
٥٤٥ الخطر الابيض والخطر الاصفر
٥٥٢ التحوُّل الفجائي
٥٥٦ حِيَل النبات
٥٥٨ جزيرة سخالين

* * *

٥٥٩ باب المراسلة والمناظرة * كتاب الاملاء · تشيع المقتطف للانكليز · حالة مصر المالية
٥٧٠ باب تدبير المنزل * واجبات المرأَة · تربية الاولاد · اسراف الاميركيات
٥٧٤ باب الزراعة * السماد الكيماوي · اعلى فصفات الجير · كبريتات الامونيا · نيترات الصودا زراعة الكمأَة
٥٧٧ باب التقريظ والانتقاد * كتاب نجعة البراع · مدينة مصر · شرح ديوان الحماسة · الاجوبة المسكتة
٥٨١ باب المسائل * واضع حروف الهجاء · زيادة حروف الهجاء · واضع الحروف في باقي اللغات بوارج الدول · لغة العيون · القطف الباكر · النور المنعكس · الزراعة السورية · الماسونية سبب ارتقاء الغرب · الانكليزية والفرنسوية · ماء الآبار الارتوازية · فائدة البيض · الاغتسال بالماء البارد · لبس الجوارب · البراغيث
٥٨٦ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٦ نبذة
رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف

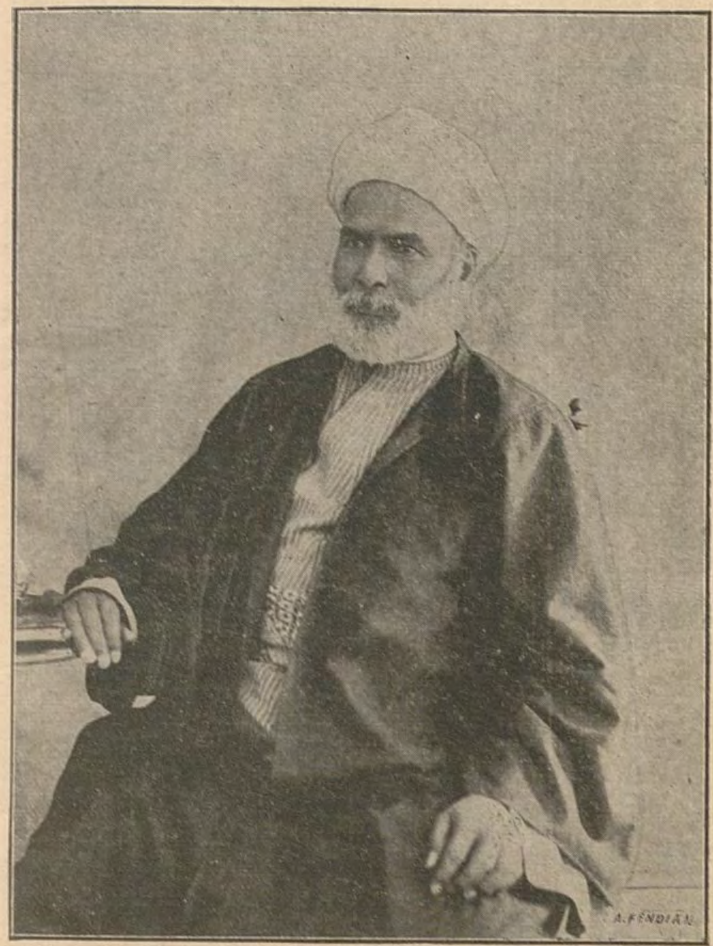

الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية